

ثقافة الولاء

دراسات تطبيقية في اللسانيات العربية من منظور متحيز

دكتور
خالد فهمي

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

ثقافـة الـولاء

دراسات تطبيقية فى اللسانيات العربية

من منظور متحيز

دكتـور

خالـد فهمـي

كلية الآداب / جامعة المنوفية

٢٠٠٧

رقم الإيداع

١٦٢٩٠

الترقيم الدولى I.S.B.N.

977-383-084-5

حقوق النشر

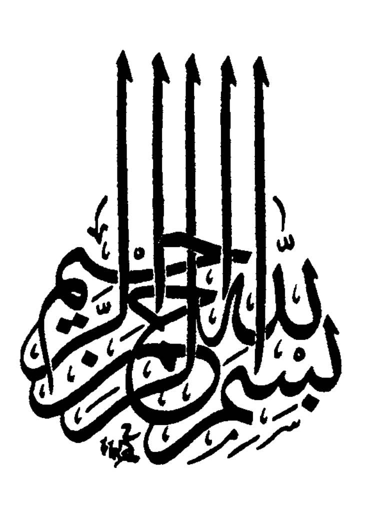
الطبعة الأولى ٢٠٠٧

ايتــــراك للنشــــر والتـــوزيع

طريق غرب مطار ألماظة عمارة (١٢) شقة (٢) ص.ب : ٥٦٦٢

هليوبوليس غرب – مصر الجديدة

القاهرة ت : ٤١٧٢٧٤٩ فاكس : ٤١٧٢٧٤٩


بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

إليهــا قطعــةً منــي !

خالد فهمي

فهرس الموضوعات

مقدمة

ربِّ عونَكا

﴿ اللهم عليك أتوكل وبك أستعين ، وفيك أوالي ، وإليك أنتسب ، ومنك أفرق ومعك استأنس ، ولك أسجد ، وإياك أسأل لسانا سمحا بالصدق ، وصدرا قد ملئ بالحق ، وأملا منقطعا عن الخلق ، وبعدا[1] ﴾

فالولاء تحيّز! والتحيز بهذا المعنى بعض دين وإطار عقيدة، هذه جملة موجزة شديدة التكثيف، مقصود من وراء كثافتها وعمقها، أن تؤسس لعلم ضخم، ومشروع ثقافي وفكرى متميز معجون و مختمر بذرات تراثنا الإسلامى، وهذا العلم القديم الذى يُرجى بعثه من جديد يسميه الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى كتابه الجرىء : (العالم من منظور غربى) ص/٤٢ : فقه التحيز ..

ونحن عندما نصف فقه التحيز بأنه علم قديم يُرجى بعثه من جديد، لم نتجاوز الحقيقة مطلقاً، ذلك أن علماء الأمة الإسلامية منذ انبلاج نور فجر نهضتها مع عصر التابعين رضوان الله على الجميع، كان واضحاً تماماً أنهم يدورون فى فلك الكتاب العزيز، القرآن الكريم، ومراجعة يسيرة لأى مؤلف قديم فى عمر هذه الحضارة ينبئك بهذا الذى نقوله .

وتصفح صحيح البخارى رضى الله عنه – يوقفك على أمر مدهش ربما لم يعره أحد الالتفات الكافى – ألا وهو أنه بدأ بكتاب كيف كان بدء

[1] من دعاء لأبى حيان التوحيدي فى البصائر والذخائر (وداد القاضى) ٤/٥ .

الوحى، ثم ثنّى بكتاب الإيمان . وهذان الأمران عندنا هما أول أساس فى هذه المقدمة المقترحة لفقه التحيز إذ إن رؤانا وتفسيراتنا للعالم والظواهر الحادثة فيه . وللقضايا المطروحة من حولنا، والتى تثور بين الحين والآخر ينبغي أن يُستفتى فيها الوحى، وتُرى من منظار الإيمان الإسلامى. هذه أولى الخطوات على طريق خلق روح علمية لم تغب إلا مع حركة الاستعمار الغربى استطاع – فى مكر وخبث شديدين – أن ينحّى هذا البعد فى صراعه مع الكنيسة هناك، وأن يصدّره لنا، ويفرضه علينا، ويصبغ مجتمعاتنا برؤيته، ويلبسنا بمساعدة جوقة التّابعين المنهزمين نفسيا – زيّه ورداءه ، ويُنمّط حياتنا بنمطه، حتى أصابتنا ميوعة ولم يعد أحُد من فرط قسوتها بقادر على تمييز سوابق سماتنا وخصائصنا الحضارية والمعرفية الباقية فينا الآن ..

والتحيز عند الدكتور المسيرى باعتباره فى تصورنا من المتحولين إلى الإسلام، وعند غيره ممترين هون معه فى هذا الوصف الإسلامى، واعتماداً على الأرضية اللغوية – هو الانضمام والموافقة فى الرأى ص/٢٣ ..

ونحن نعتقد اعتقادا جازما أن مصطلح التحيّز هو مصطلح مترجم أو مفسر أو كاشف مصطلح قديم ضارب بجذوره فى التراث الفكرى لعالم الإسلام. ولاسيما فى مجال العقيدة هو مصطلح الولاء والذى هو التناصر أو النصرة، ومراجعة الكتاب الكريم تشير إلى وجوب إثباته بين المؤمنين، ونفيه وجعله حراما بين المؤمنين والكافرين ..

واتباع منهج التوليد الدلالى مع الكلمة أو مع المصطلح المناظر الذى هو الولاء - يخرج لنا الدلالات التالية :

١- التحابّ والتواد و٢- الإيمان

و٣- التساوى بين الأفراد الذين ينضوون تحت لواء الولاء أو على حـد تعبيـر ابن أبى العز الحنفى فـى شـرح الطحاويـة فـى العقيـدة السلفيـة ص/٢٩٢ : « أن أهلها (أى الولاية) فى أصلها سواء » .

و ٤- الإكرام و ٥- والنصرة والتناصر كما سبق وقدمنا ..

هذه دلالات أولية مولدة من رحم المصطلح الأم الذى هو التحيّز أو قل الولاء. وأنت ترى أن الولاء وإن كان مترادفا من بعض جهاته مع التحيز الذى هو لفظ قرآنى، ذكر فى سياق تحريم الفرار من الجهاد للذى أراه قمة التطبيق العملى لمبدأ الولاء أو التحيّز - إلا أنه يرعى أبعاداً لا يرعاها التحيز، التحيز يرعى الجانب العلمـى الحـاكم والكـامن وراء خدمته لتفسير المقولات من رؤية محددة الأبعاد والسمات والأطر. من هذه الأبعاد الواضحة تماما مبدأ التسامى الإنسانى الكـامن فـى خلفيـة دلالتى الوُدّ والإكرام من جانب، وفى دلالتى النصرة والمـساواة مـن جانب آخر ..

أعلم أن الدكتور المسيرى حفظه الله واحد من الذين يحبون لنـا أن نتحيز فى كل شئ . حتى فى المصطلح باعتبـار ذلـك خـصوصية حضارية وموقفا علميا طبيعيا؛ وأنا من موقف التأييد أدعوه إلى التحشية على مصطلح التحيّز بما يدعمه ويقويه من رحم تراثنا بمصطلح الولاء.

وأن يضم إلـــى مصطلح التنميط الذى هو فرض هيمنة نمط ثقافى غازٍ غريب علينا مصطلحا آخر أمسُ رحما بثقافتنا هو مصطلح البَرَاء بما يحمله من دلالات مثل كراهية قهر الآخرين لنا ، ومن مثل مقاومـــة أنماط الآخر الغريب الغازى . ومن مثل تنمية الانتماء إلى ثقافة تعتمد التوحيد والإعمار وقودها الذى يسيرها ..

إن الدعوة إلى نشأة مثل هذا العلم القديم الذى يرجى بعثه وإعـــادة اكتشافه، ليسهم فى بناء صرح نهضتنا، يمثل خطوة لازمة وضرورية، إن رؤية العالم من منظارنا نحن وعيوننا نحن تجعلنـــا قـــادرين قـــدرة المطمئن على استعادة ذاتنا بعد غياب طويل؛ لنمارس دورا مُنعناه زمانا طويلاً ..

إن الدعوة إلى التحيز دعوة إلى مطاردة بقايا رواسب الغزو التـــى رحلت آثاره المادية العسكرية، هذه الرواسب المتمثلة فى تنميط حياتنـــا بنمط الغرب الغازى ..

وعلينـــا أن نؤمن فى النهاية بالقانون التالى : « أن لكل مجتمـــع تحيزاته » على حد تعبير المسيرى؛ لأن لكل مجتمع أهدافه وغاياتـــه . والهدف عندنا إعمار دنيا والغاية إرضاء الله .

وبعد فهذه مجموعة دراسات ينتظمها سلك واحد هو أنها صـــدرت عن عقل موالٍ، متحيّز، يعلن أنه لا تزال ثمة مرجعية حاكمة، وذلك هو الخيط المتصل بينها جميعا، حاولت أن تعيد استثمار مصادر الاحتجـــاج اللغوى لإثبات أن الثقافة الإسلامية لم تقهر المرأة، مما ينال من صـــدق كثير من دعاوى أنصار الحركة النسوية، ثم حاولـــت أن تـــدافع عـــن التراكيب القرآنية عن طريق استثمارات الشاهد الشعري النصرانيِ ، ثم

تحولت إلى المعجمية لتناقش عددا من المسائل الثقافية والفكريـــة مـــن زاوية الدرس المعجمى .

هذه محاولة تدعو ملحة أن نعيد اكتشاف موقعنا، كما تـدعو إلـــى إعادة استثمار الدرس اللغوي أو اللساني وربطه بتاريخ الأفكار .

والله سبحانه من وراء القصد،،،

دكتــور/ خالـد فهمــي
كلية الآداب / جامعة المنوفية

القاهرة فى ١٤٢٦هـ
٢٠٠٦ م



تمهيد

في تاريخ الهجوم على القرآن الكريم

يمكن العودة بتاريخ الهجوم على القرآن الكريم إلى زمان التنزيل نفسه عندما سجّل اتهام المشركين القرآن في المصدر الذي نبع منه، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [سورة النحل١٦/١٠٣] وهو الاتهام الذي يدونه تراث أسباب النزول، يقول الواحدي في أسباب النزول عن "عبد الله بن مسلم قال كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر، اسم أحدهما: يسار، والآخر: خير، وكانا يقرآن كتبا لهم بلسانهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيسمع قراءتهما وكان المشركون يقولون يتعلم منهما فأنزل الله تعالى ما كذبهم ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾"[١].

وهذا الذي رواه الواحدي يرويه السيوطي كذلك ويضيف إليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي يقول فيه "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام، وكان أعجمي اللسان، يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا إنما يعلمه بلعام فأنزل الله تعالى.....الآية"[٢].

---

[١] أسباب النزول للواحدي ١٥٩ وعين التمر موضع بالأنبار على طرف بادية الكوفة كما في معجم البلدان ٤/١٧٦.

[٢] أسباب النزول للسيوطي ١٠٧، وانظر تفسير القرطبي ١٠/١٧٧ وما بعدها.

وقد روي هذا الكلام في مؤلفات مبهمات القرآن على ما جاء عند السهيلي في كتابه التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء و الأعلام[1] وعلى ما ذكره السيوطي في مفحمات الأقران في مبهمات القرآن[2]. وقد قال المفسرون إن المراد باللسان في الآية هو القرآن الكريم[3].

وما يهمنا في هذه المرويات قدم العلاقة بين اتهام القرآن الكريم، أيًا ما كانت جهة الاتهام وبين النصارى، هذه العلاقة التي امتدت منذ ذلك الزمان البعيد حتى اليوم، وقد أخذ ذلك الاتهام أشكالا عدة، وطال مناحي شتى تتعلق بمصدره، وبإعجازه، وبموضوعاته، وببلاغته، وبتراكيبه الخ.

وقد نهض كثير من علماء الأمة من ابتداء تاريخها لنقض هذه الاتهامات، وبيان زيف هذه الشبهات التي أثارها خصوم الإسلام من ملاحدة وباطنية وشعوبية ونصارى ويهود، ومن هذه المؤلفات الشهيرة في باب الرد على شبهات هؤلاء الخصوم ونخص منهم النصارى الذين يتزعمون الحملة الدعائية اليوم ضد عصمة القرآن الكريم ويتهمونه بالخطأ كما ذكر النديم في الفهرست :

١. الرد على النصارى، لبشر بن المعتمر (الفهرست ص ١٥٨)
٢. الرد على النصارى، للجاحظ ٢٥٥هـ (الفهرست ص ٢١٠)
٣. الرد على النصارى، لحفص الفرد (الفهرست ص ٢٣٠)
٤. الرد على النصارى، لضرار بن عمر (الفهرست ص ٢١٥)

[1] انظر: التعريف والإعلام للسهيلي ١٧٣ وذكر أن اسم الغلام النصراني الذي أسلم جبر لا خير!
[2] مفحمات الأقران ٦٩ وزاد اسما آخر رواه ابن حجر في الإصابة (٦٤٩/٣) هو يُحَنّس !
[3] القرطبي ١٧٩/١٠.

٥. الرد على النصارى، لعيسى بن صبيح المردار ٢٢٦هـ (الفهرست ص ٢٠٧)
٦. الرد على النصارى الكبير، لعيسى الوراق (الفهرست ص ٢١٦)
٧. الرد على النصارى الأوسط، لعيسى الوراق (الفهرست ص ٢١٦)
٨. الرد على النصارى الأصغر، لعيسى الوراق (الفهرست ص ٢١٦)

وقد أورد حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون فقرة أجمل فيها بعض من ألفوا في الرد على النصارى يقول ٢/٨٣٨ "رد النصارى: فيه كتب مثل كتاب الرهاوي وكتب عمرو بن بحر الجاحظ وكتاب عبد الجبار المعتزلي، ومقالة القاضي أبي بكر، وكلام الجويني....وكلام لابن الطيب، وكتاب للطرطوشي وكتاب لابن عوف، وكتاب خلف الدمياطي....وتحفة الأريب [في الرد على أهل الصليب، للترجمان]"[١].

وقد كانت غالب هذه الكتابات النصرانية تتوجه إلى عيب عدد من الموضوعات بغية النيل من شريعة الإسلام، كما يتجلى في رسالة الرد على النصارى للجاحظ، وكتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان الأندلسي[٢].

ولعل أشهر من رد على اتهامات خصوم الإسلام ولاسيما فيما يتعلق بالمزاعم الخاطئة حول لغته وتراكيبه هو ابن قتيبة الدينوري في كتابه تأويل مشكل القرآن ..

---

[١] كشف الظنون ٢/٨٣٨.

[٢] انظر: موضوعات تحفة الأريب ولاسيما في فصل ما يعيبه النصارى على المسلمين ص ١٣٠ وما بعدها وكذلك رسالة الرد على النصارى (رسائل الجاحظ) ٣/٣٠٠ وكتاب مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى ص ١٦ وما بعدها، كما كتب رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق ٤٢٣ في الفصل الثاني: دفع شبهات القساوسة على القرآن وانظر بعضا من مؤلفات الرد على النصارى غير هذه، مقدمة تحقيق كتاب تحفة الأريب ص ٢٠.

غير أن اتهام النصارى اتخذ منحى جديدا بدا واضحا في العصر الحديث وهو التوجه للنص الكريم في أساس بنائه وتكوينه، فبدت الشبهات التي يوجهونها أكثر تفصيلا وتعلقا ببناء النص لغة ونحوا وبلاغة، يقول الدكتور إبراهيم عوض في كتابه عصمة القرآن الكريم: "وفي الفترة الأخيرة ازداد الهجوم على الإسلام ورسوله شراسة"[1] ثم يقول "ومما ظهر في الفترة الأخيرة من كتب تهاجم الإسلام كتاب تافه صدر في النمسا سنة ١٩٩٤م بعنوان هل القرآن معصوم؟ لشخص يتسمى باسم عبد الله الفادي....راح يهاجم القرآن في رعونة وجهل، ويتهم لغته بالضعف والخطأ"[2].

وهذا الأمر هو ما لمسه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وبدا واضحا في تقديم الدكتور علي جمعة لكتاب حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المتشككين[3].

وقد كان المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب تصدى لعدد من هذه الشبهات اللغوية ولاسيما عند واحد من كبار المستشرقين الألمان هو تيودور نولدكه الذي "كتب في عام ١٩١٠م مقالا يقطر سمًا وحقدا على القرآن الكريم بعنوان: لغة القرآن Sprache des Koran في كتابه مقالات جديدة في علم اللغات السامية ... وقد استقى نولدكه مقاله من أقوال الشعوبيين القدماء وتجاهل ردود علماء المسلمين على هذه الأقوال في مؤلفاتهم في مشكل القرآن وتفسيره وإعجازه"[4].

[1] عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين ٧.

[2] عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين ٨.

[3] حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المتشككين ٩-١٠.

[4] العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق ٧٨.

ويقول بعدها "وانطلق نولدكه بعد ذلك يعدد ما سماه بعثرات القرآن في اللغة والأسلوب بالقياس إلى ما نسميه اللغة العربية الفصحى وقد ظهر في هذا المقال جهل هذا المستشرق بخصائص العربية ومنهجها في التعبير"[1].

ومن قبله أفاض المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم في الحديث عن الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم حتى صح عنده أن "القرآن معجزة لغوية"[2]!

ومن هنا يستمد هذا البحث شرعية وجوده من باب أنه يمثل امتدادا من بعض الوجوه لتراث الرد على النصارى قديما، وحديثا لكنه مقصور على دفع ما سمي بأخطاء القرآن النحوية!

بمعنى أنه كما ظهر في تراث التأليف العلمي عند المسلمين في مجال الأديان المقارنة، والملل والنحل مؤلفات هدفت إلى الدفع في وجه من يتهمون الإسلام والقرآن مما مر بنا بيان بعضه، فإن العصر الحديث عرف عددا كبير من الدراسات هدفت إلى الأمر نفسه منها على سبيل المثال لا الحصر:

١. إظهار الحق، لرحمة الله الهندي.
٢. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٣. الدفاع عن القرآن الكريم ضد منتقديه، للدكتور عبد الرحمن بدوي.

---

[1] العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق ٧٨.

[2] النبأ العظيم ص٨٠.

٤. العربية والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، للدكتور رمضان عبد التواب.
٥. عصمة القرآن وجهالات المستشرقين، للدكتور إبراهيم عوض.
٦. المستشرقون والقرآن، للدكتور إبراهيم عوض.
٧. النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، للدكتور محمد عبد الله دراز.

ولا أحب أن يتبادر إلى ذهن أحد أن ما سأعالجه في هذه الورقة سبقت معالجته في هذه التآليف الكثيرة، فذلك غير وارد؛ لأن أحدا ممن ذكرت وممن لم أذكر لم يلتفت إلى هذه الزاوية التي سنعالج من خلالها دفع الشبهات المثارة ضد كتاب الله العزيز (في حدود ما وصل إليه هذا البحث) من أكثر من جانب هي:

أولا : أن هذا البحث تأسيسي بمعنى أنه ليس هدفه هو جمع عدد من الشبهات المترددة والرد عليها، وإنما هدفه التوجه إلى أن ما يتهم به القرآن الكريم من احتوائه على أخطاء لغوية نحوية موجود في شعر العرب السابق عليه، والقرآن خاطب العرب بمألوف لغتهم بما في ذلك تحديدا شعر شعراء النصرانية العرب.

ثانيا : أن هذا البحث ستوقف عند الشبهات المتعلقة بتراكيبه أو التي تزعم أنه به أخطاء نحوية، غض المسلمون على مر العصور الطرف عنها، وحاولوا أن يلفقوا لها تخريجات كما يزعم الخصوم، ولن يتعداها إلى الشبهات المثارة إلى بلاغته أو معجمه وألفاظه.

ثالثا : أن هذا البحث يرمي إلى إثبات صحة التراكيب التي وردت في الذكر الحكيم اعتمادا على أنها وردت في الشعر العربي الذي هو أعظم مصادر الاحتجاج كثرة في مجال الدراسة النحوية، ولن يتوقف البحث عند مطلق أشعار الجاهلين، مع أن في ذلك كفاية ترد غائلة المتهمين للقرآن الكريم، لكنه سيتوقف عند شعراء النصرانية من العرب، وسيقف عند الاستشهاد بأشعارهم في تآليف المسلمين في التفسير والنحو ومعاني القرآن وتأويل مشكله، ليؤكد أن المسلمين عندما استشهدوا بأشعار هؤلاء النصارى رأوا فيهم عربا يحتج بشعرهم فإذا ورد التركيب في أشعارهم كان في ذلك ردًا لدعاوى خصوم زماننا من النصارى وأشياعهم الذين ينالون من كتاب الله لأغراض تنصيرية خبيثة.

رابعا : أن هذا البحث سيعتمد في رصده لشعراء النصرانية العرب المحتج بشعرهم في تراث النحو العربي من العصرين الجاهلي والإسلامي على قوائم الأب لويس شيخو اليسوعي الذي ألف سفريه:

شعراء النصرانية قبل الإسلام.

شعراء النصرانية بعد الإسلام.

وسنغض الطرف عما وجه إليه من انتقادات حول توسعه في ضم شعراء كثيرين ليسوا من النصارى، كالسموأل بن عادياء من شعراء ما قبل الإسلام وهو يهودي، وكأبي تمام من شعراء ما بعد الإسلام وهو مسلم!

وبغض الطرف عن انتقاد الأب لويس شيخو اليسوعي في صنيعه هذا مجاراةً منا له يمثل كما يقال سعيا من جانبنا مع هؤلاء المنصرين إلى نهاية المطاف والشوط؛ بمعنى أن شعراء النصرانية سيكوّنون عمود الصورة في هذا البحث من جانب، وأن شعراء النصرانية الذين سنورد قوائمهم مقتبسة من واحد من رجالاتهم، حتى لا يشغب علينا أحدٌ بشئ ينال من قيمة الدفع الذي سيرد اتهاماتهم، لأنه في هذه الحالة- سيكون قد أتى عليها من الأساس، أو من القواعد .



الدراسة الأولى :

أثر شواهد شعراء النصرانية
في الاحتجاج لصحة التراكيب القرآنية

أثر الشواهد الشعرية النصرانية
في بناء القاعدة النحوية في العربية

(١) أولية الشعر في باب الاحتجاج النحوي:

لا ينكر أحد في مجال الدراسات اللغوية والنحوية عند العرب ما للشاهد من قيمة في إثبات صحة القاعدة المحتج به عليها أو نفي الصحة عنها!

ذلك أن الشاهد "عند أهل العربية: الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئي...من كلام العرب الموثوق بعربيتهم"[١].

والشاهد بذلك هو الدليل المعتبر الذي يؤسس للقاعدة النحوية في الدراسة اللغوية عند العرب وهو يقترب كذلك من مصطلح آخر هو مصطلح المثال الذي يعرفه التهانوي بقوله "المثال، بالكسر، يطلق على الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة، وإيصاله إلى فهم المستفيد، كما يقول الفاعل كذا ومثاله زيد في: ضرب زيد، وهو أعم من الشاهد وهو الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة؛ يعني أن المثال: جزئي لموضوع القاعدة يصلح لأن يذكر لإيضاح القاعدة. والشاهد جزئي لموضوع القاعدة يصلح لأن يذكر لإثبات القاعدة"[٢].

وقد قلنا إن مفهوم المثال يقترب من مفهوم الشاهد؛ لأنه لا يطابقه، ولا يطابقه كذلك النظير إن وسعنا دلالته وسوّينا بينه وبين المثال، ولن نتوقف إلا أمام الشواهد النصرانية؛ لأننا نريد إثبات أن ما

---

[١] كشاف اصطلاحات الفنون (لطفي عبد البديع) (شاهد) ٤/٩٩ .

[٢] كشاف اصطلاحات الفنون (رفيق العجم) ٢/١٤٤٧ وانظر كذلك(نظير) ٢/١٧١ .

ورد في القرآن الكريم من تراكيب قيل إنها مخالفة للأجرّومية النحوية العربية مسبوق بما يؤيده ويؤازره مما ورد في أشعار شعراء النصرانية العرب؛ لأننا لا نهدف إلى الإيضاح في مقام الاتهام، وإنما نهدف إلى إثبات صحة ما نطق به النص العزيز ومهمة الشاهد ووظيفته كما نقلنا هنا هي هذا الإثبات والتدليل على ما جاء في القرآن الكريم.

وهذا اللجوء من جانب البحث إلى تحكيم شواهد شعراء النصرانية العرب ردًّا لاتهامات الحاقدين على القرآن الكريم بأن فيه أخطاء على مستوى التراكيب-حاسم في إسكاتهم من وجهة نظرنا.

وقد سبق إلى شئ قريب من هذا الدكتور إبراهيم عوض عندما رجع إلى المعاجم التي ألفها نصارى في بعض ردوده على ما اتهمت به لغة القرآن الكريم، يقول في الرد على من خطأ استعمال الفعل (نال) بمعنى وصل "وقد رجعت إلى عدد من المعاجم التي ألفها نصارى لأرى ما تقول عن هذا الفعل (يعني نال) فوجدت البستان و الوافي لعبد الله البستاني والمنجد المشهور والرائد لجبران مسعود تقول جميعا في مادة نيل: "نالني من فلان معروف" أي وصل إلي منه معروف. وفي مد القاموس لإدوارد وليم لين Edward William Lane في المادة ذاتها أن من معاني الفعل نال it reached him, come to him بمعنى وصل إليه"[1].

بذلك يكون صنيعنا هنا في العودة إلى اعتبار شواهد شعراء النصرانية له ما يسوغه في هذا السياق.

---

[1] عصمة القرآن ص ٢٤.

وتوقف هذا البحث أمام الشاهد الشعري لشعراء النصرانية العرب له ما يسوغه من أكثر من جانب لعلها أهمها هو كثرة الاستشهاد بالشعر في بناء النحو العربي مقارنة بغيره من مصادر الاحتجاج والاستشهاد، فكتاب سيبويه مثلا يستشهد بألف وستة وخمسين شاهدا شعريا[1].

ومسألة التزيد في الاستشهاد بالشعر راجع إلى القيمة التي احتفظ بها الزمان في نفوس العرب تجاه هذا الفن القولي، حتى استقر أن "الشعر ديوان العرب"[2]، يقول السيوطي فيما نقله عن ابن فارس: "الشعر ديوان العرب.....منه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3] ولنا أحب أن أقف أمام قول السيوطي إنه حجة فيما أشكل من كتاب الله تعالى، فنحن عندما نتوقف أمام شواهد شعراء النصرانية ولاسيما في الجاهلية نكون في أمن من اتهامنا بالانحياز لدليل غير موثوق به، فالشعر كان ولم يزل في الدرس اللغوي عند العرب هو المضطلع بالتوثيق في المقام الأول، ومن أجل ذلك توجهت ــ فيما يبدو ــ إلى الشعر القديم محاولات هدمه والنيل منه ورميه، فيما عرف بقضية انتحال الشعر الجاهلي والتي تولى الدعوة إليها في العصر الحديث كثيرون كان أشهرهم اثنين من كبار الباحثين وهما مارجليوث في كتاب أصول الشعر العربي والدكتور طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي.

---

[1] انظر: شواهد الشعر في كتاب سيبويه ١٧٩.

[2] المزهر ٢/٤٧٠ وانظر كشاف العبارات النقدية والأدبية في التراث العربي ٢٠٤.

[3] المزهر ٢/٤٧٠ وانظر كشاف العبارات النقدية والأدبية في التراث العربي ٢٠٤.

وقد كان من وراء هذه الدعوة التي رمت الشعر القديم هو إسقاطه وبقاء تفسير القرآن الكريم من غير دليل يقوم عليه، ولاسيما بعدما انتشر الاعتماد على هذا الشعر في تأسيس العلوم الشرعية والعربية عند المسلمين، من هنا يمكن أن نقول "إن الشعر هو أبرز ما احتجّ به من كلام العرب في تقرير التحديدات والضوابط اللغوية في مستويات الدرس اللغوي"[1].

وفي ذلك يقول المرحوم محمود شاكر: إن الشعر القديم ويقصد الجاهلي "بقى مادة للغة العرب وشاهدًا على حرف من العربية، وعلى باب من النحو، وعلى نكتة في البلاغة وبقى ذخر للرواة، وركازا يستمد منه شعراء الإسلام، ومنبعا لتاريخ العرب في الجاهلية، بل بقى كنزا لعلوم العرب جميعا"[2].

ولا أظن أحدًا في حاجة إلى التذكير بأن الشعر الجاهلي السليم المبرّأ من العيب ظل محفوفا بالكرامة والصدق حتى تلقاه العلماء بالشعر إلى أواخر المئة الأولى من الهجرة، وكان قبل أن تفتح أبواب العلوم العربية في عهدها المبكر منصوبا للتذوق البصير لأعلى البيان الإنساني وأسناه"[3].

حتى إذا فتحت أبواب العلوم انتصب الشعر القديم شاهدا يثبت أمورا وينفي غيرها، للدرجة التي يمكن أن يقال معها إن الاستدلال بعربية الشعر الجاهلي على كون القرآن الكريم عربيا مبينا ظاهر جدا،

---

[1] الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته٤.

[2] الظاهرة القرآنية (من تقديم محمود شاكر) ص ٣٧.

[3] قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ١٢٢، ١٢٣.

"ومحال أن يجد امرؤ عاقل أو غير عاقل من الماضيين أو الحاضرين، ومن العرب وسائر المسلمين"[1] غير ذلك الذي نقول به ونقرره.

ومن ثم يمكن أن نقرر أن " للشواهد وظيفتين أساسيتين:

الأولى : إثبات واقع اللغة في مستوياتها: الأصوات، والصرف والصيغ والنحو والتراكيب والمتن والدلالة.

الثانية : أنها مأخذ ضوابط اللغة وحدودها، وسنن أهل السليقة فيها، وعلى هاتين الوظيفتين يقوم بناء اللغة"[2].

وفيما يلي نقل يبين الشعراء الذين يحتج بشعرهم على مسائل اللغة والنحو:

يقول المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب "أما بالنسبة للشعر فقد قسم اللغويون الشعراء إلى أربع طبقات:

طبقة الجاهليين : كزهير، وطرفة، وعمرو بن كلثوم.

طبقة المخضرمين : وهم الذين شهدوا الجاهلية وصدر الإسلام، كالخنساء، وحسان بن ثابت، وكعب بن زهير.

طبقة الإسلاميين : كجرير، والفرزدق، والأخطل.

طبقة المولدين،أو المحدثين : وهم يبدءون في العصر العباسي، ببشار بن برد، وأبي نواس"[1].

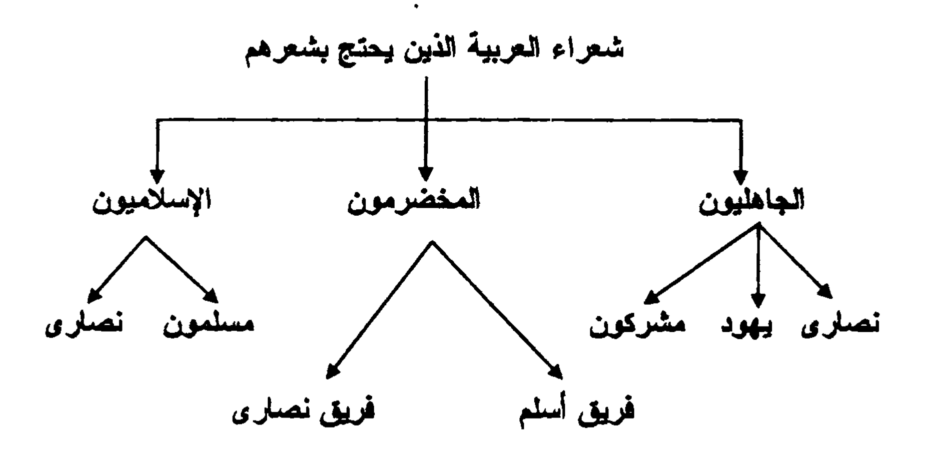
---

[1] قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام ١٢٢، ١٢٣.

[2] الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته ٤٧.

ثم يقول: "وقد أجمع علماء اللغة على أن شعراء الطبقتين الأوليين [الجاهليين والمخضرمين] يحتج بشعرهم بغير نزاع. أما الطبقة الثالثة، فمعظم اللغويين يرون صحة الأخذ بشعر هذه الطبقة"[٢].

ومما مر يمكن تحديد الذي يحتج بشعرهم كما يلي:



ومن المفيد أن نلفت النظر إلى نص من كلام السيوطي في الاقتراح التفت فيه إلى أن مصادر الاحتجاج لم تفرق بين مسلم وكافر، فهي تشمل ضمن ما شمل كلام العرب قبل البعثة وفي زمنها وبعدها إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين ــ نظما ونثرا عن مسلم وكافر[٣]، ولعل في ذلك النص ما يساعد على استجلاء الصورة التي يمكنها أن تردّ على من يزعم أن في كتاب الله تراكيب نحوية خرجت على النظام العربي

---

[٢] فصول في فقه العربية ١٠١.
[١] ثلاث فصول في فقه العربية ١٠١.
[٣] انظر الاقتراح ٣٦.

وخالفته؛ لأن ورودها في شعر عرب غير مسلمين قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبعدها كافٍ في هذا السياق للدفاع عن القرآن الكريم.

وهو الأمر الذي حدا بالسيوطي أن يقول تحت عنوان الاحتجاج بأقوال الكفار "اعتمد في العربية على أشعار العرب وهم كفار لبعد التدليس فيها"[1] ووسع أبو الطيب الفاسي في تعليقه على ذلك النص فقال "على أن الإسلام والعدالة لا تعلق لهما بهذا الأمر، لأن لغاتهم أمر جبلي سليقي ليس لهم فيه اختيار ولا تأثير"[2] وبعيدا عن المفهوم القديم للسليقة اللغوية الذي يعترض عليه حديثا[3] فإن المهم هو أنه لا مدخل للإسلام في تقرير عدالة أصحاب الشواهد.

(٢) شعر شعراء النصرانية العرب مصدرا من مصادر الاحتجاج :

ومن هذا التشجير يتضح لنا أن النطاق الزمني مثله شعراء غير مسلمين سيكتفي البحث بالوقوف أمام شعراء النصرانية منهم وهم كما أوردهم الأب لويس شيخو اليسوعي:

أولا : شعراء النصرانية قبل الإسلام (وقد رتبتها ترتيبا هجائيا) :

* الشاعر	* موضعه عند لويس شيخو اليسوعي
١- الأخنس بن شهاب	ص ١٨٤
٢- الأسود بن يعفر (أعشى نهشل)	ص ٤٧٥
٣- أفنون التغلبي	ص ١٩٢

---

[1] الاقتراح ٤٧.

[2] فيض نشر الانشراح ٥٦٣/١.

[3] فصول في فقه العربية ١٠١ والاحتجاج بالشعر في اللغة ٦٩.

٥١- المسيب ص ٣٥٠

٥٢- المنخل ص ٤٢٠

٥٣- المهلهل أخو كليب ص ١٦١

٥٤- النابغة الذبياني ص ٦٤٠

٥٥- ورقة بن نوفل ص ٦١٦

٥٦- يزيد بن عبد المدان ص ٨٠

وفيما يلي جدول يبين مدى عناية المصادر النحوية والتفسيرية النحوية بالشواهد الشعرية التي قالها شعراء النصرانية العرب:

شعراء النصرانية في الجاهلية	كتاب سيبويه ١٨٠هـ	معاني القرآن للفراء ٢٠٧هـ	مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٠هـ	معاني القرآن للأخفش ٢١٥هـ	تأويل المشكل لابن قتيبة ٢٧٦هـ	معاني القرآن للزجاج ٣١١هـ	الإغفال لأبي علي ٣١١هـ	إعراب القرآن للنحاس ٣٣٨هـ	إعراب ثلاثين سورة ٣٧٥هـ	إعراب القراءات ٣٧٥هـ	إعراب شواذ العكبري ٦١٦هـ	التبيان العكبري ٦١٦هـ	البحر المحيط ٧٤٥هـ	الدر المصون السمين ٧٥٦هـ
المؤلفات النحوية والتفسيرية مادة الدراسة التي استشهدت بشعر شعراء النصرانية العرب														
الأخنس بن شهاب	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	✓	×
الأسود بن يعفر	✓	×	✓	✓	✓	×	✓	✓	×	×	×	×	✓	✓
الأعشى ميمون	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
أفنون التغلبي	×	×	×	×	✓	×	×	×	×	✓	×	×	×	×
الأفوه الأودي	×	×	×	×	×	×	×	✓	✓	×	×	×	✓	✓
امرؤ القيس	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
أمية بن أبي الصلت	✓	✓	✓	✓	×	×	✓	✓	✓	✓	×	✓	✓	✓
أوس بن حجر	✓	✓	✓	✓	✓	×	✓	✓	✓	✓	×	×	✓	✓
إياس بن قبيصة	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
البراق اليمني	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
بسطام بن قيس	×	×	×	×	✓	×	×	×	×	×	×	×	×	×
جابر بن حنّي	✓	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
جحدر بن ضبيعة	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	✓	×
جساس بن مرة	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
جليلة بنت مرة	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
حاتم الطائي	✓	✓	✓	✓	✓	×	✓	✓	✓	✓	×	×	✓	✓
الحارث بن عباد	✓	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×

شعراء النصرانية في الجاهلية	المؤلفات النحوية واللغوية مادة الدراسة التي استشهدت بشعر شعراء النصرانية العرب													
	كتاب سيبويه ١٨٠هـ	معاني القرآن للفراء ٢٠٧هـ	مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٠هـ	معاني القرآن للأخفش ٢١٥هـ	تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٧٦هـ	معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١١هـ	الإغفال لأبي علي [illegible]هـ	إعراب القرآن للنحاس ٣٣٨هـ	إعراب ثلاثين سورة ٣٧٠هـ [?]	إعراب القراءات ٣٧٠هـ [?]	إعراب شواذ العكبري ٦١٦هـ [?]	التبيان للعكبري ٦١٦هـ [?]	البحر المحيط ٧٤٥هـ	الدر المصون للسمين الحلبي ٧٥٦هـ [?]
الحارث بن حلزة	×	✓	×	×	×	×	×	×	×	✓	✓	✓	✓	✓
الحصين بن حمام	✓	×	×	×	✓	×	×	✓	×	✓	×	×	✓	×
حنظلة الطائي	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
الخرنق	✓	✓	✓	✓	✓	×	✓	✓	×	×	✓	×	✓	✓
دريد بن الصمة	✓	✓	✓	×	✓	×	×	✓	×	✓	×	×	✓	✓
ذو الإصبع العدواني	✓	×	✓	✓	×	×	×	✓	✓	✓	×	×	✓	✓
الربيع بن زياد	×	×	✓	✓	×	×	×	✓	×	×	×	×	✓	✓
زهير بن أبي سلمى	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	×	✓	✓	✓
زهير بن جناب	×	×	×	✓	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
زيد بن عمرو بن نفيل	✓	✓	✓	✓	✓	×	×	✓	×	×	×	×	✓	✓
سعد بن مالك	✓	✓	✓	×	×	×	×	✓	✓	✓	✓	✓	✓	×
السفاح التغلبي	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
سلامة بن جندل	×	✓	✓	×	✓	×	✓	×	✓	×	×	×	✓	✓
سويد بن أبي كاهل	✓	✓	✓	✓	×	×	×	×	×	✓	×	×	✓	×
طرفة	✓	✓	✓	✓	✓	✓	×	✓	×	✓	×	✓	✓	✓

شعراء النصرانية في الجاهلية	المؤلفات النحوية والتفسيرية مادة الدراسة التي استشهدت بشعر شعراء النصرانية العرب													
	كتاب سيبويه ١٨٠هـ	معاني القرآن للفراء ٢٠٧هـ	مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٠هـ	معاني القرآن للأخفش ٢١٥هـ	تأويل المشكل لابن قتيبة ٢٧٦هـ	معاني القرآن للزجاج ٣١١هـ	الإغفال لأبي علي ٣١١هـ	إعراب القرآن للنحاس ٣٣٨هـ	إعراب ثلاثين سورة ٣٧٥هـ	إعراب القراءات ٣٧٥هـ	إعراب شواذ العكبري ٦١٦هـ	التبيان العكبري ٦١٦هـ	البحر المحيط ٧٤٥هـ	الدر المصون ٧٥٦هـ
عبد المسيح بن عسلة	×	×	×	✓	×	×	×	×	×	×	×	×	✓	×
عبيد بن الأبرص	✓	✓	✓	✓	✓	×	×	✓	✓	✓	×	✓	✓	×
عبد يغوث بن وقاص	✓	×	✓	×	×	×	×	×	✓	✓	×	×	×	×
عدي بن زيد	✓	✓	✓	✓	✓	×	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
عروة بن الورد	✓	✓	✓	×	×	×	×	×	✓	✓	×	×	✓	✓
علقمة الفحل	✓	✓	✓	✓	✓	✓	×	✓	✓	×	✓	✓	✓	✓
عمرو بن قمئة	✓	×	×	×	×	×	✓	×	×	×	×	×	×	×
عمرو بن كلثوم	✓	×	✓	✓	✓	✓	×	✓	×	✓	×	×	✓	✓
عميرة بن جعل	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
عنترة بن شداد	✓	✓	✓	✓	✓	×	✓	✓	×	✓	×	×	✓	✓
الفند الزماني	×	×	×	×	×	×	✓	×	×	×	×	×	✓	×
قبيصة الطائي	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
قس بن ساعدة	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	✓	✓
قيس بن زهير	✓	✓	✓	×	✓	×	✓	✓	×	✓	×	×	✓	✓
كعب الغنوي	✓	✓	✓	✓	✓	×	×	✓	×	×	×	×	✓	✓
كليب ربيعة	×	×	×	×	✓	×	×	×	×	×	×	×	×	×

شعراء النصرانية في الجاهلية	كتاب سيبويه ١٨٠هـ	معاني القرآن للفراء ٢٠٧هـ	مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٠هـ	معاني القرآن للأخفش ٢١٥هـ	تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٧٦هـ	معاني القرآن للزجاج ٣١١هـ	الإغفال لأبي علي ٣٧٧هـ	إعراب القرآن للنحاس ٣٣٨هـ	إعراب ثلاثين سورة ٣٧٠هـ	إعراب القراءات ٣٧٠هـ	إعراب شواذ العكبري ٦١٦هـ	التبيان للعكبري ٦١٦هـ	البحر المحيط ٧٤٥هـ	الدر المصون للسمين ٧٥٦هـ
	المؤلفات النحوية والتفسيرية مادة الدراسة التي استشهدت بشعر شعراء النصرانية العرب													
المتلمس	✓	✓	✓	×	×	×	×	✓	✓	✓	×	×	✓	✓
المثقب	×	✓	✓	✓	✓	×	×	✓	✓	✓	×	×	✓	✓
المرقش الأكبر	×	✓	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	✓	✓
المسيب بن علس	✓	×	✓	✓	✓	×	×	✓	×	✓	×	×	✓	✓
المهلهل	✓	×	✓	✓	✓	×	✓	✓	×	×	✓	✓	✓	✓
المنخل	✓	✓	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	✓	✓
النابغة الذبياني	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	×	✓	✓	✓
ورقة بن نوفل	×	×	✓	×	×	×	×	×	×	×	×	×	✓	✓
يزيد بن عبد المدان	×	×	×	×	×	×	×	✓	✓	×	×	×	✓	×

ثانيا: شعراء النصرانية بعد الإسلام :

ومن جانب آخر فإن شعراء النصرانية العرب بعد الإسلام استشهد بأشعارهم في الكتب نفسها مما يؤكد أن النحاة والمفسرين المسلمين لم يروا في الكفر أو عدم الإسلام مانعا من الاستشهاد بشعر هؤلاء، وفيما يلي قائمة تبين شعراء النصرانية العرب بعد الإسلام الذين ظهرت أشعارهم باعتبارها شواهد تثبت صحة ما ورد في القرآن الكريم وسوف نعتمد كذلك على قائمة الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه شعراء النصرانية بعد الإسلام بعد ترتيبها هجائيا.

وسوف يتوقف البحث أمام شعراء النصرانية من طبقتين اثنين فقط هما طبقة المخضرمين وطبقة الأمويين.

* الشاعر	* موضعه عند لويس شيخو اليسوعي
١- الأخطل التغلبي	ص ١٧٠
٢- أعشى تغلب	ص ٣٨٩/١٢٢
٣- أعشى ربيعة	ص ٣٨٩/١٢٩
٤- أكثم بن صيفي	ص ٣٧٦/٧
٥- امرؤ القيس بن عابس	ص ٣٨٣/٥٦
٦- جُحَيَّة بن المضرب	ص ٣٨٣/٥١
٧- الحارث بن كلدة	ص ٣٧٥/٢
٨- الحرقة هند بنت النعمان	ص ٣٧٧/٢

٩- حنين الحيري	ص ١٦٢
١٠- الزبرقان بن بدر	ص ٣٧٨/٢٩
١١- أبو زبيد الطائي	ص ٣٧٨/٦٥
١٢- شمعلة التغلبي	ص ٣٨٨/١١٨
١٣- صرمة الراهب	ص ٧
١٤- عثمان بن الحويرث	ص ١
١٥- العجاج بن رؤبة	ص ٣٩٠/٢٢٨
١٦- عبد المسيح بن بقيلة	ص ٣٧٦/١٤
١٧- عدي بن حاتم	ص ٣٧٩/٢٩
١٨- العديل بن فرخ	ص ٢١٣
١٩- القطامي التغلبي	ص ٣٩٠/١٩١
٢٠- كعب بن جعيل	ص ٢٠٢
٢١- مرقس الطائي	ص ١٣٦
٢٢- موسى بن جابر	ص ٣٨٨/١١٣
٢٣- ميسون بنت بحدل	ص ٣٨٤/٦٣
٢٤- نائلة بنت الفرافصة	ص ٣٨٤/٦٠
٢٥- النابغة الشيباني	ص ١٣٧
٢٦- النجاشي الحارثي	ص ٣٧٩/٤١

٢٧- هدبة بن الخشرم ص ٩٥/٣٨٧

وليس معنى اكتفاء هذه الورقة بشعراء النصرانية من المخضرمين أو الأمويين أنه لم يوجد في الكتب مادة هذا البحث أشعار لشعراء النصرانية بعد ذينك الطبقتين فقد ورد في البحر المحيط ٦/٢٠٩ مثلا ذكر لزبينا بن إسحاق النصراني وهو من شعراء النصرانية في القرن الخامس على ما أورد لويس شيخو في شعراء النصرانية بعد الإسلام ص٢٨١.[1]

[1] التفت البحث إلى ما وجه إلى لويس شيخو من انتقادات تتعلق بتوسعه فى ضم شعراء إلى قائمة شعراء النصارى ، لكنه احترم مادة كتابية باعتباره حجة عند النصارى ، كما يمكن مراجعة دراسة الدكتور أحمد محمد النجار عن شعراء اليهود العرب (كلية البنات/ جامعة عين شمس) ع٩ لسنة ١٩٧٧م .

شعراء النصرانية بعد الإسلام	المؤلفات النحوية والتفسيرية مادة الدراسة التي استشهدت بشعر شعراء النصرانية														
	سيبويه ١٨٠ هـ	معاني الفراء ٢٠٧هـ	مجاز القرآن ٢١٠هـ	معاني الأخفش ٢١٥هـ	تأويل المشكل ٢٧٦هـ	معاني الزجاج ٣١١هـ	الإغفال لأبي علي ٣١١هـ	إعراب النحاس ٣٣٨هـ	إعراب ثلاثين سورة ٢٧٥هـ	إعراب القراءات وعللها ٣٧٥هـ	إعراب الشواذ للعكبري ٦١٦هـ	التبيان للعكبري ٦١٦هـ	البحر المحيط ٧٤٥هـ	الدر المصون ٧٤٣هـ	ملاحظات
الأخطل التغلبي	√	√	√	√	√	×	√	√	×	√	√	×	√	√	أموي
أعشى تغلب	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	أموي
أعشى ربيعة	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	أموي
أكثم بن صيفي	×	×	×	×	√	×	×	×	√	×	×	×	√	×	مخضرم
امرؤ القيس بن عابس	×	√	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	√	√	مخضرم
جعفة بن المضرب	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	مخضرم
الحارث بن كلدة	√	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	√	×	مخضرم
الحرقة هند بنت النعمان	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	مخضرمة
الزبرقان بن بدر	√	×	√	×	√	×	×	×	×	×	×	×	√	×	مخضرم
أبو زبيد الطائي	√	√	√	√	√	×	×	√	√	√	×	×	√	√	مخضرم
سمعان بن هبيرة	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	مخضرم
شمعلة التغلبي	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	أموي
صرمة الراهب	√	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	√	×	مخضرم
عثمان بن الحويرث	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	مخضرم
العجاج	√	√	√	√	√	√	√	√	×	√	√	√	√	√	أموي

شعراء النصرانية بعد الإسلام	المؤلفات النحوية والتفسيرية مادة الدراسة التي استشهدت بشعر شعراء النصرانية														
	سيبويه ١٨٠هـ	معاني الفراء ٢٠٧هـ	مجاز القرآن ٢١٠هـ	معاني الأخفش ٢١٥هـ	تأويل المشكل ٢٧٦هـ	معاني الزجاج ٣١١هـ	الإغفال لأبي علي ٣١١هـ	إعراب النحاس ٣٣٨هـ	إعراب ثلاثين سورة ٣٧٥هـ	إعراب القراءات وعللها ٣٧٥هـ	إعراب الشواذ العكبري ٦١٦هـ	التبيان العكبري ٦١٦هـ	البحر المحيط ٧٤٥هـ	الدر المصون ٧٤٥هـ	مستلاكات
عبد المسيح بن بقيلة	√ معاً	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	مخضرم
عدي بن حاتم	×	×	×	×	√	×	×	×	×	×	×	×	×	√	مخضرم
العديل بن فرخ	×	√	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	أموي
القطامي	√	√	√	√	√	×	√	√	√	√	×	√	√	√	أموي
كعب بن جعيل التغلبي	√	√	×	×	√	×	×	×	×	×	×	×	×	×	أموي
مرقس الطائي	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	أموي
موسى بن جابر	×	×	√	×	×	×	×	×	×	×	×	×	√	×	أموي
ميسون	√	×	×	×	×	×	×	√	×	√	×	√	√	×	مخضرمة
نائلة بنت الفرافصة	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	√	×	مخضرمة
نابغة بني شيبان	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	أموي
النجاشي الحارثي	√	×	×	√	×	×	×	√	×	×	×	×	√	×	مخضرم
هدبة بن الخشرم	√	×	√	×	×	×	√	√	√	√	×	×	√	×	أموي

(٣) مناقشة مسائل الانتقاد أو الشبهات المزعومة :

ظهر في الفترة الأخيرة كتابات تهاجم القرآن الكريم، وتدعي أن به أخطاء متنوعة، منها ما هو في التراكيب أو النحو من مثل كتاب:

(هل القرآن معصوم) لعبد الله الفادي؟ وقد طبع في النمسا سنة ١٩٩٤م يقول عنه الدكتور إبراهيم عوض إنه "راح يهاجم القرآن (الكريم) في رعونة وجهل، ويتهم لغته بالضعف والخطأ"[١] ومنها كتاب عنوانه: (الباكورة الشهية في الروايات الدينية) !

وسوف نعتمد في رد المسائل التي ينتقد فيها هؤلاء المنصرون مواضع من كتاب الله الكريم وبيان أنها ليست أخطاء نحوية بدليل شيوعها في الاستخدام اللغوي العربي، مستندين في إثبات ذلك الاستخدام على ما ورد في أشعار شعراء النصرانية في أزمان الاحتجاج - على ما جاء في كتابين هما:

(١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢) عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين، للدكتور إبراهيم عوض، طبعة مكتبة زهراء الشرق، بالقاهرة سنة٢٠٠٥م.

بالإضافة إلى ما ورد على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ثم نثبت ردودنا عليها معتمدين على ما ورد من شواهد شعراء النصارى العرب في كتب النحو والتفسير العربية[٢].

---

[١] عصمة القرآن ص٨.

[٢] وقد اعتنى الدكتور إبراهيم عوض في كتابه عصمة القرآن بإيراد تراكيب مماثلة لما زعموه أخطاء في المواضع التي ذكروها من القرآن الكريم ـ من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في نسخته العربية، وزاد فوضح أمورا خارجة عن حدود الكلام المنطقي والمفيد.

وسوف يسير البحث في مناقشة مسائل الانتقاد أو الشبهات المزعومة على المنهج التالي:

١. إيراد الشبهة وفق ترتيب سور المصحف.
٢. بيان قول أهل الشبهة على الخطأ النحوي المزعوم.
٣. النص على الشبهات القديمة التي سطا عليها هؤلاء الخصوم من كتب القوم القدماء.
٤. تخريج هذا الخطأ وتوجيهه في لغة العرب.
٥. إيراد الشاهد النصراني الدال على صحة التركيب القرآني.

(٢/١)

موطن الشبهة المزعومة في الآية

٢/سورة البقرة ١٩٦- ﴿ فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾

وقد وردت هذه الشبهة في كتاب حقائق الإسلام ص٢٣٦ حيث قال "وموطن الشاهد على هذه الشبهة عندهم هو قوله تعالى ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ بعد قوله عز شأنه ﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ﴾ وفي تصوير هذه الشبهة قالوا : " فلماذا لم يقل تلك عشرة؟ مع حذف كلمة "كاملة" تلافيا لإيضاح الواضح؟ لأنه من ذا الذي يظن أن العشرة تسعة؟! "

كما يقرر الدكتور إبراهيم عوض في عصمة القرآن هذا الذي نقلته فيقول إنهم يأخذون ص٦٦ "على قوله جل من قائل في الآية ١٩٦

من سورة البقرة .... أن كلمة كاملة لا لزوم لها؛ لأنها توضح ما لا يحتاج إلى توضيح، وإلا فمن ذا الذي يظن أن العشرة تسعة؟!"[1].

ومن شواهدها في شعر شعراء النصرانية العرب في الجاهلية ما جاء في شعر الأعشى [من الوافر]:

ثلاث بالغداة فهن حسبي ... وست حين يدركني العِشاءُ

فذلك تسعة في اليوم ريّي ... وشرب المرء فوق الريّ داءُ[2]

ومن ذلك أيضا ما ورد في شعر النابغة الذبياني وهو من شعراء النصرانية على ما جاء عند لويس شيخو مما مر بك ذكره قوله: [من البسيط وهو في ديوانه ق٢/٣ ص٣٠]:

توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة أيام وذا العامُ سابعُ[3]

وفي الكلام عن سر ورود عشرة كاملة بعد إذ وردت "ثلاثة أيام، وسبعة" يقول السمين الحلبي نقلا عن ابن عرفة (أي نفطويه) قال "وإنما تفعل العرب ذلك لأنها قليلة المعرفة بالحساب، وقد جاء: "لا نحسب ولا نكتب"، وورد ذلك في أشعارهم"[4]. وما يهمنا في هذا النقل هو قوله إن ذلك مألوف العرب في مثل هذا التركيب، مما هو ظاهر في جملة "وورد ذلك في أشعارهم" وفي ذلك يقول ابن قتيبة "أراد توكيد ما أوجبه الصيام بجمع العددين وذكره مجملا"[5].

---

[1] هل القرآن معصوم ١١١ وعصمة القرآن ٦٦ وهي شبهة قديمة أوردها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٤٣.

[2] جاء منسوبا في الدر المصون ٢/٣٢٠ والبحر المحيط ٢/٨٨.

[3] جاء منسوبا في الدر المصون ٢/٣٢٠ والبحر المحيط ٦/٢٩٤.

[4] الدر المصون ٢/٣٢٠.

[5] تأويل مشكل القرآن ٢٤٣.

وقد أورد البقاعي كلاما نفيسا بعد ذلك في توجيه الآية الكريمة يقول كان مجيء "عشرة دفعا لاحتمال أن تكون "أو" بمعنى الواو، أو أن يكون المراد بالسبع المبالغة دون الحقيقة، وليحضر العدد في الذهن جملة كما أحضره تفصيلا....

ولما كان زمن الصومين مختلفا قال "كاملة" نفيا لتوهم أن الصوم بعد الإحلال دون ما في الإحرام"[1].

(٢/٢)

موطن الشبهة المزعومة في الآية

٤/ سورة النساء ١٦٢- ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما﴾

وفي هذه الآية يقول كتاب حقائق الإسلام ص١٧٤ " نظروا (يقصد أصحاب الشبهة) في هذه الآية فوقعت أعينهم على كلمة ﴿المقيمين﴾ فقارنوا بينها، وبين ما قبلها ﴿الراسخون﴾ و ﴿المؤمنون﴾ وبين ما بعدها ﴿المؤتون﴾ / ﴿المؤمنون﴾ فوجدوا ما قبلها وما بعدها مرفوعا بالواو؛ لأنه جمع مذكر سالم أما المقيمين فوجدوها منصوبة بالياء؛ لأنها كذلك جمع مذكر سالم حقه أن يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، وسرعان ما صاحوا وقالوا إن في القرآن خطأ نحويا من نوع جديد هو: عطف المنصوب على المرفوع، أو نصب المعطوف على

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩٥/٣.

المرفوع، ثم علقوا قائلين: وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: " والمقيمون الصلاة ".

وهو ما يؤكده الدكتور إبراهيم عوض عندما يقول في كتابه عصمة القرآن ص٤٢ أنهم رأوا أنه "كان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول: والمقيمون الصلاة"[1].

وهذه شبهة قديمة كذلك أوردها القتبي في الباب الذي عقده في كتابه تأويل مشكل القرآن بعنوان (الحكاية عن الطاعنين) يقول على لسانهم "وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأيّ شيء بعد هذا الاختلاف تريدون، وأي باطل بعد الخطأ واللحن تبتغون؟"[2].
ثم عاد فاحتج لقراءة نصب "المقيمين".

وقد ورد ذلك النصب في أشعار شعراء النصرانية من مثل قول الخرنق بنت هفان، أخت طرفة، وهي من شواعر النصرانية كما جاء عند لويس شيخو [من الكامل في ديوانها ق٤/١ــ٢ ص٢٨،٢٩]:

لا يبعدن قومي الذين هم سُم العداة وآفة الجُزر.
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر[3]

وبعد ذلك يصح قول السمين الحلبي "وقد زعم قوم لا اعتبار لهم أنها لحن"[4]! وكذلك يقول الزمخشري: "ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب

[1] هل القرآن معصوم ١٠٨.
[2] تأويل مشكل القرآن ٢٦.
[3] الدر المصون ١٥٤/٤ وتأويل مشكل القرآن ٥٣ ومصادر أخرى كثيرة في حواشيه وشعراء النصرانية في الجاهلية ٣٢٤ والبحر المحيط ٤١٢/٣.
[4] الدر المصون ١٥٥/٤.

ولم يعرف مذاهب العرب، ومالهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الأولين .... كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذبّ المطاعن عنه من أن يقولوا ثلمة في كتاب الله ليسدها من بعدهم، وخرقا يرفوه من يلحق بهم"[1].

والزمخشري يشير في هذا النص إلى واحدٍ من تخريجات النصب على أنه مفعول به على الاختصاص لأهمية أمر إقامة الصلاة.

ومن النحاة من خرجها على النصب على المدح، قطعا للعطف، يقول البقاعي: "ولما كانت الصلاة أعظم دعائم الدين، ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر، نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات إظهارا لفضلها"[2].

وهو ما أكده سيبويه، وقد صنع لذلك بابا عنوانه (هذا ما ينتصب على التعظيم والمدح) أشار فيه إلى الآية هذه ثم قال "ونظير هذا النصب من الشعر قول الخرنق"[3] الذي مر.

ومثلما تنصب العرب على القطع مدحا وتعظيما تنصب على القطع ذما وشتما، يقول سيبويه (هذا باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه)، وذكر أبياتا لعروة بن الورد والنابغة النبياني[4] وهما من شعراء النصرانية عند لويس شيخو.

---

[1] الكشاف ١/٥٩٠ وانظر: الدر المصون ٤/١٥٥.
[2] نظم الدرر ٥/٥٠٣.
[3] الكتاب ٢/٦٤.
[4] الكتاب ٧٠ وما بعدها.

وما يقال في رد هذه الشبهة بما ورد في أشعار النصارى يقال في رد ما يتوهم خطؤه في قوله تعالى ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء﴾ [سورة البقرة ٢/١٧٧].

حيث قالوا "وكان يجب أن يرفع المعطوف، يعني الصابرين على المرفوع يعني الموفون فيقول: والموفون والصابرون هذا قولهم"[1].

(٣/٢)

موضع الشبهة من الآية الكريمة

٧/سورة الأعراف ٥٦- ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ يقول مؤلفو كتاب حقائق الإسلام ١٨٦ "وحين نظروا في نظم هذه الآية توهموا -كذلك- أن فيها خطأ نحويا منشؤه عدم التطابق بين المبتدأ: رحمة، والخبر: قريب في التأنيث؛ لأن المبتدأ "رحمة" مؤنث، أما الخبر "قريب" فهو في الآية مذكر؛ قالوا: وكان يجب أن يتبع خبر إن اسمها في التأنيث، فيقال: قريبة ".

وهو ما يؤكده الدكتور إبراهيم عوض عندما يقول إنهم يخطئون "قوله تعالى في الآية ٥٦ من سورة الأعراف..حيث ورد خبر إن مذكرا على حين أن اسمها مؤنث وكان يجب (حسبما يقول) أن يتبع خبر إن اسمها في التأنيث فيقول قريبة"[2].

وقد التفت الدكتور إبراهيم عوض في دفعه هذه الشبهة المتوهمة إلى رد حاسم شبيه بما نحن بصدده عندما قال "وفي مد القاموس لوليم

---

[1] حقائق الإسلام ١٧٨.

[2] هل القرآن معصوم ١٠٧ وعصمة القرآن ٢٥.

إدوارد لين، ومحيط المحيط لبطرس البستاني والبستان لعبد الله البستاني ولاروس العربي وكلها كما ترى معاجم ألفها نصارى أن الصفة قريب إذا كانت للقرب المكاني أو الزماني تستعمل بصيغة واحدة للمذكر والمؤنث والمثنى والمفرد والجمع"[1].

ثم يستشهد على ذلك بشاهد من شعر السموأل بن عادياء اليهودي [من الطويل ديوانه (صادر) ٩٠]:

تعيّرنا أنا قليل عديدنا　　　فقلت لها: إن الكرام قليل

ثم نقل عن النصراني المعاصر الدكتور إميل يعقوب رواية تخطئة من يقول: فلانة جريحة، ويوجب تصويب تلك الجملة وأمثالها لتكون: فلانة جريح![2]

ومن ذلك قول امرئ القيس [من الطويل ق٤/٤٥ ص٦٨]:

له الويل إن أمسى ولا أم سالم　　　قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا

ويقول السمين الحلبي: "وقد كثر في شعر العرب مجيء هذه اللفظة مذكرة وهي صفة المؤنث"[3].

ومن ذلك أيضا قول عبيد بن الأبرص [من البسيط ق٥/٤٣ ص١٩]:

فنفضت ريشها وانتفضت　　　وهي من نهضة قريب

ومن شعره كذلك [الطويل ق٢/٤٢ ص١١٢]:

قليلا بها الأصوات إلا عوازفا　　　وإلا عرارا من غياهب آجالِ[4]

---

[1] عصمة القرآن ٢٨.

[2] معجم الخطأ والصواب للدكتور إميل يعقوب ١٠٤.

[3] الدر المصون ٥/٣٤٦.

[4] انظر: عصمة القرآن ٢٨.

ومن ذلك في شعر المثقب العبدي [من الوافر ق٥/٢٩ ص١٨٠]:

تسدّ بدائم الخطران جثل   خواية فرْج مقلات دهين

والدهين: صفة للناقة البكيئة القليلة اللبن[١].

وفي القصيدة نفسها [من الوافر ق٥/٣٣ ص١٨٨]:

كأن الكور والأنساع منها   على قوراء ماهرة دهين.

وهذه الشواهد قاضية بصحة ما ورد في القرآن الكريم، وبتأسيس القاعدة النحوية اعتمادا عليها[٢].

(٤/٢)

موضع الشبهة من الآية الكريمة

٧/سورة الأعراف ١٦٠- ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما﴾

يقول كتاب حقائق الإسلام ١٩٠ "وشاهدهم على الغلط بهذه الشبهة هو قوله عز وجل "اثنتي عشرة أسباطا أمما" والصواب الذي توهموه عبروا عنه بقولهم: كان يجب أن يذكِّر العدد، ويأتي بمفرد المعدد فيقول: اثني عشر سبطا".

وهو ما يؤكده الدكتور إبراهيم عوض نقلا عن هل القرآن معصوم فيقول إن من جرأته "تخطئته قوله عز شأنه عن بني إسرائيل في الآية ١٦٠ من سورة الأعراف..... إذ كان يجب (في وهمه) أن يذكر العدد ويأتي بمفرد المعدود فيقول: اثني عشر سبطا"[٣].

---

[١] الإبل للأصمعي ١٤٤.

[٢] انظر: المذكر والمؤنث للفراء ١١١ ففيه: "اللواقحة جديد وملحفة جديد ... كما قالوا كف خضيب، ولحية دهين".

[٣] هل القرآن معصوم ١٠٧ وعصمة القرآن ٢٨.

وقد أفاض معربو القرآن الكريم في تخريج الآية الكريمة، لكن المهم عندنا هو أن أمثال هذا التركيب وردت في أشعار العرب الذين يحتج بشعرهم، وقد ورد مثل ذلك في شعر عنترة بن شداد وهو من شعراء النصرانية عند لويس شيخو يقول [من الكامل ديوانه ١٤٤]:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم.

يقول السمين الحلبي: "فوصف حلوبة وهي مفردة لفظا بسودا وهو جمع مراعاة لمعناها إذ المراد الجمع"[1].

ومثل ذلك يرد به إذا ما وردت الآية الكريمة ﴿فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين﴾ [سورة الكهف ١٨/٢٥].

(٥/٣)

موضع الشبهة من الآية الكريمة

١٢/سورة يوسف ١٥ـ ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾

يقول مؤلفو كتاب حقائق الإسلام ٢٢٧ "وموطن الشاهد عندهم هو قوله جل شأنه: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه﴾ بحثوا عن جواب "لما" فلم يجدوه، فرموا القرآن بالخطأ لأنه لم يذكر جواب "لما" ثم قالوا: فأين جواب لما؟ ولو حذفت الواو لاستقام المعنى".

وهذه شبهة قديمة أورد الرد عليها ابن قتيبة فقال: "وواو النسق قد تزاد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له كقوله... ﴿فلما ذهبوا به﴾"[1].

---

[1] الدر المصون ٥/٤٨٦ والمذكر والمؤنث للفراء ٥٧ والبحر المحيط ٤/٤٠٦.

ثم استشهد بشاهد لامرئ القيس [من الطويل ديوانه ق١/٢٨ ص١٥]:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفافٍ عقنقل.

وأيا ما كان الأمر في توجيه هذا التركيب على تأويل حذف جواب لما على ما رجحه البقاعي[٢] أو على أن الجواب هو جملة وأوحينا والواو زائدة فإن ما نريد تأكيده هو أن هذا الأسلوب الذي توهم المنصرون خطأه في كتاب الله العزيز ورد في أشعار العرب القدامى ومنهم النصارى.

(٦/٣)

موضع الشبهة من الآية الكريمة

٢٠/سورة طه ٦٣ـ ﴿إنّ هذان لساحران﴾ في قراءة تشديد النون وهي قراءة متواترة للكسائي وغيره[٣].

وهذه شبهة قديمة أوردها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن حيث روى عن الطاعنين في القرآن أنهم يقولون إن في كتاب الله خطأ في قوله تعالى ﴿إنّ هذان لساحران﴾[٤] وقد خرّج النحاة هذه القراءة على آراء متنوعة منها أنه "قد أجيب عن ذلك: بأنه على لغة بني الحارث، وبني الهجَيم، وبني العنبر، وزُبيد، وعُذرة، ومراد، وخثعم، وحكى هذه اللغة الأئمة الكبار كأبي الخطاب وأبي زيد الأنصاري والكسائي. قال

---

[٢] تأويل مشكل القرآن ٢٥٣ وانظر: الدر المصون ٦/٤٥٣ والبحر المحيط ٨/٥٥.

[١] نظم الدر ١٠/٢٨.

[٣] يقول معجم القراءات القرآنية للدكتور الخطيب ٥/٤٤٩ "وقرأ أبو جعفر والحسن وشيبة والأعمش وطلحة وحميد وأيوب وخلف في اختياره وأبو عبيد وأبو حاتم وابن عيسى الأصبهاني وابن جرير وابن جبير الأنطاكي وابن عامر ونافع وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب والشنبوذي ﴿ إنّ هذان لساحران ﴾ بتشديد " إنّ " و" هذان " بالألف ".

[٤] تأويل مشكل القرآن ٢٥ ، ٥٠.

أبو زيد: "سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفا" ويجعلون المثنى كالمقصور، فيثبتون ألفا في جميع أحواله، ويقدّرون إعرابه بالحركات، وأنشدوا قوله: [للمتلمس ق١/١٤ ص٣٤ من الطويل]:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما"[1].

وفي ذلك يقول ابن يعيش (١) ١٢٨/٣ "وليس ذلك مما يختص بأسماء الإشارة بل يكون في جميع الأسماء المثناة نحو قولك: جاءني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وهي لغة لبني الحارث وبطون من ربيعة" وأورد شواهد كثيرة تثبت هذه اللغة منها بيت المتلمس السابق.

(٧/٣)

موضع الشبهة من الآية الكريمة

٢١/سورة الأنبياء ٣ـ ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾

يقول مؤلفو كتاب حقائق الإسلام ٢٤٦ في توضيح هذه الشبهة "وشاهدهم في هذه الآية هو الجمع بين "وأسروا"، "الذين ظلموا" لأنهم جزموا بأن الواو في "أسروا" فاعل كما جزموا بأن الذين في "الذين ظلموا" فاعل كذلك.

"ولما كان كل فعل لا يتطلب إلا فاعلا واحدا، صاحوا بأعلى صوت قائلين: إن القرآن أخطأ فجعل للفعل الواحد فاعلين"!

وهو ما يؤكده الدكتور إبراهيم عوض في كتابه عصمة القرآن حيث يقرر أنهم يظنون "أن هناك غلطة نحوية في قوله تعالى في الآية

---

[1] الدر المصون ٦٧/٨ وانظر: نوادر أبي زيد ١٦٩.

(٣) من سورة الأنبياء...إذ يزعم (مؤلف هل القرآن معصوم) أن الصواب يقتضي حذف الواو من أسروا فيكون الكلام: وأسر النجوى الذين ظلموا"[1].

ومثل ذلك يمكن أن يتهم به قول الله جل وعلا ﴿ثم عموا وصموا كثيرا منهم﴾ [سورة المائدة ٥/٧١].

وهذا أسلوب عربي قديم يرى كثير من اللغويين العرب أنه هو الأصل كما جاء عن الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية حيث يقول: "في جمع الفعل عند تقدمه على الاسم" "ربما تفعل العرب ذلك؛ لأنه الأصل"[2] وهو ما أكدته الدراسات اللغوية المقارنة[3].

وقد أورد معربو القرآن شواهد شعرية تثبت أن هذه الظاهرة متفشية في كلام العرب قبل نزول الكتاب العزيز منها بيت أمية بن أبي الصلت وهو من شعراء النصرانية في الجاهلية:[من المتقارب]:

يلومونني في اشتراء النخيـ ـل أهلي فكلهم ألومُ[4]

ومن ذلك بيت عروة بن الورد وهو من شعراء النصرانية في الجاهلية [من الطويل زيادات ديوانه ق ٢/ ٥ ١ــ٢ ص١٢٣]:

دعيني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن كانا له نسب وخيرُ[5]

---

[1] عصمة القرآن ٧٠ وقد أورد شواهد شعرية كثيرة تتضمن هذا الأسلوب يبدو انه اعتمد في نقل غالبها على كتاب الدكتور رمضان عبد التواب بحوث ومقالات في اللغة ٧١ وما بعدها وانظر: هل القرآن معصوم ١١١.

[2] فقه اللغة وسر العربية (الخانجي) ٢/٥٧٠ و(السقا) ٣٢٨.

[3] انظر: بحوث ومقالات في اللغة ٧٤ وما بعدها.

[4] الدر المصون ٣/٣٥٤ و ٨/١٣٢ وانظر: بحوث ومقالات ٧١.

[5] بحوث ومقالات في اللغة ٧٢.

وقد أفاض معربو القرآن في تخريجها على آراء كثيرة، لعل أرجحها هو أن الواو مجرد علامة للجمع والاسم الظاهر بعدُ هو الفاعل[1].

وقد روت كتب اللغة أن هذه اللغة محكية عن قبيلة بني الحارث بن كعب وعن قبيلة طيئ وعن قبيلة أزد شنوءة .

وقد تتبعها الدكتور رمضان عبد التواب في بحثه عن الخصائص اللغوية لقبيلة طيئ القديمة حتى وصل إلى شعر أبي تمام الطائي، وإن كان خارج دائرة الاحتجاج، وهو من شعراء النصرانية بعد الإسلام ٢٥٦ على ما يقرر لويس شيخو اليسوعي! منه [من الكامل ق ٣٣/٥٨ (١٣١/٢)]:

وغدا تبيّن كيف غب مدائحي ... إن ملن بي هممي إلى بغداد[2]

وكذلك قوله: [من الطويل ق ١/٧٤ (٢١٤/٢)]:

شجى في الحشى تَرْداده ليس يفتر ... به صمن آمالي وإني لمفطر[3]

وكذلك قوله: [من الطويل ق ١٠/١٣٦ (١٧٨/٣)]:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحِجا ... هلكن إذن من جهلهن البهائمُ[4]

ويعلق التبريزي على البيت الثاني هنا قائلا ٢١٤/٢ "يَبين في كلام الطائي أنه كان يختار إظهار علامة الجمع في الفعل، مثل قوله: صمن آمالي، ولو قال "صام آمالي" لاستقام الوزن، وقد جاء بمثل ذلك في غير هذا الموضع".

---

[1] انظر الدر المصون ١٣٢/٨ وكتاب سيبويه (هارون) ٤٠/٢.

[2] شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ٢١٤/٢، وانظر: بحوث ومقالات في اللغة ٢٥١.

[3] شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي ١٣١/٢، وانظر: بحوث ومقالات في اللغة ٢٥١.

[4] شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي١٧٨/٣، وانظر: بحوث ومقالات في اللغة ٢٥١.

وما يهم هنا هو كثرة الشواهد الشعرية لشعراء النصرانية العرب قبل الجاهلية وبعد الإسلام مما يؤكد إسهام شعر هؤلاء الشعراء في إثبات القاعدة النحوية في العربية، وأن ما يزعمه الزاعمون من وجود أخطاء في القرآن الكريم ساقط بتحكيم هذه الشواهد الشعرية.

(٨/٢)

موضع الشبهة المزعومة في الآية الكريمة

٦٣/سورة المنافقون ١٠ـ ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾

وهذه الآية مثار طعن منذ القدم كما ذكر ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن[1] وقد رددها المعاندون المعاصرون "وشاهد هذه الشبهة عندهم هو قوله تعالى ﴿وأكن﴾ لأنه محذوف الواو، وهو فعل معتل الوسط بالواو (أجوف) ولا يحذف الواو منه إلا إذا سكن آخره، ولا يسكن آخره إلا إذا كان مجزوما، ويجزم المضارع إذا دخل عليه جازم أو عطف على مجزوم. ولما لم يدخل على الفعل هنا جازم، ولم يتقدم عليه مجزوم يصح جزمه بالعطف عليه، ساغ لخصوم القرآن أن يقولوا إن هذا الفعل "أكن" جزم على أن المعطوف عليه منصوب وهو الفعل "فأصدق" وعلقوا على هذا فقالوا: كان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب فيقال: فأصدق وأكون"[2].

وهو ما ذكره كذلك الدكتور إبراهيم عوض حيث يقرر أن صاحب كتاب هل القرآن معصوم يرى "أن في قوله تعالى في الآية

---

[1] تأويل مشكل القرآن ٥٦.

[2] حقائق الإسلام ١٩٩.

(١٠) مـن سـورة (المنافقـون) ... خطا نحويا، إذ كان المفـروض (حسبما يقول) أن ينصب فعل الكينونة عطفا على "فأصدق" "[1].

وقد خرج معربو القرآن أن هذا الأمر على أنه عطـف علـى معنى الشرطية المستقر في الجملة بتقدير: "إن أخرتني أصدق وأكن"[2].

والمهم عندنا أن هذا الأسلوب مألوف في أشعار العرب القدامى ومنهم شعراء النصرانية يقول زهير بن أبـي سـلمى [ق ١٧/٨ ص١٦٩ ديوانه صنعة الشنتمري من الطويل وشرح ديوانه لثعلب ص٢٨٧]:

بدا ليَ أني لست مدركَ ما مضى ... ولا سابقٍ شيئا إذا كان جائيا

والشاهد في البيت جر "سابق" عطفا على مدرك المنصوب خبرا لليس على توهم زيادة الباء، وهو عكس ما في الآية التي وقع فيها الجزم على توهم حذف الفاء.

ومثل ذلك بيت امرئ القيس [من الطويل ق ٦٣/١ ص٢٢]:

فظل طهاة اللحم من بين منضج ... صفيفَ شواءٍ أو قديرٍ معجّلِ

"فإنهم جعلوه من العطف على التوهم" فعطف قدير بالجر علـى صفيف المنصوبة توهما أنه مجرور بالإضافة على ما يقـرر الـسمين الحلبي في الدر المصون (٣٦٤/١٠).

(٩/٣)

موضع الشبهة المزعومة في الآية الكريمة

[1] عصمة القرآن ٣٦ وهل القرآن معصوم ١٠٨.

[2] انظر: الدر المصون ٣٤٤/١٠.

٧٦/سورة الإنسان ٤- ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا﴾
٧٦/سورة الإنسان ١٥- ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا﴾

وقراءة التنوين أو الصرف مروية ثابتة عن نافع وأبي جعفر والكسائي وأبي بكر عن عاصم وغيرهم[١].

وهذه شبهة قديمة نص عليها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (٢٩) في فصل الحكاية عن الطاعنين.

يقول كتاب حقائق الإسلام ٢٣٤ "وشاهدهم (أي من يزعمون الخطأ في القرآن) في الآية الأولى كلمة "سلاسلا" ذكروها ثم قالوا:فلماذا قال "سلاسلا" بالتنوين مع أنها لا تنوّن لامتناعها عن الصرف؟ وقالوا عن الآية الثانية: لماذا أتى بها بالتنوين مع أنها لا تنون لامتناعها عن الصرف؛ لأنها على وزن مصابيح؟

هذا قولهم وهو مبلغ علمهم أو مبلغ جهلهم وافترائهم".

وهو ما يؤكده الدكتور إبراهيم عوض في نقله عن (هل القرآن معصوم) حيث يقول إن الكلمتين في الآيتين "قد نوِّنتا رغم أنهما ممنوعتان من الصرف"[٢].

وقد روى السمين الحلبي في الدر المصون ٥٩٧/١٠ عن الأخفش قوله "سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف؛ لأن الأصل في الأسماء الصرف".

---

[١] انظر معجم القراءات القرآنية للدكتور الخطيب ٢٠٧/١٠؛ ٢١٥.
[٢] عصمة القرآن ٦٤ وهل القرآن معصوم ١١٠؛ ١١١.

وبعضهم يخرجه للمناسبة بين الفواصل القرآنية ويستشهدون على ذلك بما ورد من أشعار القدماء من مثل بيت العجاج وهو من شعراء النصرانية عند لويس شيخو! [من الرجز ديوانه ق ١/٤٤ ص٤٢١]:

يا صاحِ ما هاج الدموع الذرفنِ[1].

ومن ذلك أيضا أي صرف ما لا ينصرف في أشعار العرب النصرانية قول النابغة الذبياني [من البسيط]:

فلتأتينك قصائدٌ وليركبن جيش إليك قوادم الأكوار

يقول القزاز القيرواني "فصرف قصائد وهو جمع ثالث حروفه ألف، وبعد الألف حرفان"[2] (ولو حذف النون التي للتنوين وأشبع الضمة لاستقام الوزن) .

ثم يقول "ولكن أصله أن ينصرف لتمكن الأسماء في الإعراب، فكأن الشاعر لما صرفه رده إلى أصله"[3].

---

[1] الدر المصون ٦٠٩/١٠ والبحر المحيط ٣٨٩/٨ وأراجيز العرب ٤٨.

[2] ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٣١ وانظر ضرورة الشعر لابن السيرافي ٤٣.

[3] ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٣٢.

الخاتمة

يتضح مما سبق أنه لا يوجد شاعر ممن زعم لويس شيخو اليسوعي نصرانيته في كتابيه المعروفين: شعراء النصرانية في الجاهلية، وشعراء النصرانية بعد الإسلام - لم يمثل في المصادر التي اعتمدها هذا البحث، مما ظهر في الجدولين السابقين.

كما اتضح أن نسبة كبيرة من شبهات خصوم القرآن الكريم لم يكونوا مبتكري هذه الشبهات، بل وجدنا كثيرا منها منقولا من كتب القوم القديمة، ثم أضافوا إلى سرقتهم خيانة في كتمانهم الردود القديمة التي رد بها العلماء المسلمون، وكتمانهم ما أوردوه من شواهد فشا فيها كثير من هذا الذي زعموه خطأ.

وهناك شعراء آخرون من غير النصرانية يمكن أن يسهموا في إثبات أن ما ورد في القرآن من تراكيب ثابت في شعر القوم قبله من مثل شعراء اليهود كالسموأل بن عادياء وابن الزبعرى وغيرهما.

يرى هذا البحث في نفسه أنه جاء بمسألة ربما لم يلتفت إليها الدارسون قبله وهو الاحتجاج بشعر شعراء النصرانية قبل الإسلام وبعده ليؤكد بهذا أن الإسلام لم يمنع الاحتجاج بشعر هؤلاء ولم يتعصب ضدهم؛ لأنهم عرب أولا وأخيرا، وهذا التوسع في قبول شواهد العرب على اختلاف مللهم عكس العناية الكبرى التي أولاها اللغويون والنحويون والمفسرون المسلمون للغة العرب شعرًا ونثرا، خدمة لكتاب الله عز وجل.

ويسوّغ البحث الاكتفاء بهذه الشبهات التسع فقط من باب أن البحث العلمي قائم على الاستقراء لا الاستقصاء بمعنى أن هذه الأمثلة كافية في التدليل على أن ما يروجه خصوم القرآن من وجود أخطاء نحوية، راجع إلى العداوة؛ لأننا وجدنا أن كل ما اتهموا به النص العزيز عارٍ عن الصحة، لوجود هذه التراكيب في أشعار العرب وكلامهم هذا جانب.

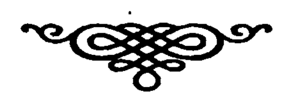
جانب آخر أن اشتراط البحث تحكيم شواهد شعراء النصرانية هو الذي حكم ذلك الاختيار لهذه المسائل تحديدا.

على أن بقية الشبهات المثارة ليست إلا من مألوف ما تحدث به العرب وكتب اللغة والنحو والتفسير مليئة بشواهد شعرية تثبت ذلك.

راعى البحث كذلك التوقف أمام مادة نوعية من الكتب على وجه التحديد تمثل أساسًا لما قام برعاية القاعدة النحوية من جانب والعناية بتراكيب الجمل القرآنية من جانب آخر ولذلك توقف أمام هذه الكتب تحديدا.

إذ إن كتاب سيبويه هو أهم مؤلفات النظرية النحوية العربية على وجه الإطلاق، ثم إن عناية البحث بكتب معاني القرآن؛ لأنها كما شاع وعرف تمثل التفسير النحوي للقرآن الكريم على ما تقرره مثلا الدكتورة هدى قراعة في مقدمة تحقيقها لمعاني القرآن للأخفش (١/٢٥)
"أما كتب معاني القرآن فهي النواة الأولى للتفسير النحوي للقرآن، فأصحاب كتب المعاني إنما يفسرون القرآن في ضوء إعرابهم للآيات".

ثم اعتمد البحث على كتب إعراب القرآن متواترة وشـاذة، ثـم على تفسير البحر المحيط لما عرف عنه من العناية بالجانب النحـوي؛ نظرا لأنّ مؤلفه واحدٌ من كبار نحاة العربية وهو أبو حيان الأندلسي".



فهرست مراجع البحث

- الإبل، للأصمعي (ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي) للدكتور أوجست هفنر، فينا سنة ١٩٠٥م مصورة مكتبة المتنبي، بالقاهرة، بدون تاريخ.
- الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، للدكتور محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، بالقاهرة، سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- أراجيز العرب، للسيد محمد توفيق البكري، المطبعة المليجية، بالقاهرة، سنة ١٣١٣هـ.
- أسباب النزول، للسيوطي، دار التحرير، بالقاهرة، سنة ١٣٨٢م.
- أسباب النزول، للواحدي، مكتبة المتنبي، بالقاهرة، بدون تاريخ.
- الإصابة في تميز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، مصورة دار الفكر العربي عن طبعة السعادة، بالقاهرة، سنة ١٣٢٨هـ.
- إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة، بلا تاريخ.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ.

- إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
- إعراب القراءات الشواذ، للعكبري، تحقيق محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- الإغفال، لأبي علي الفارسي، = وهو المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق الدكتور عبد الله عمر الحاج، طبعة المجمع الثقافي، بأبي ظبي، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- الاقتراح في علم أصول النحو، للسيوطي، تحقيق الدكتور أحمد سليم الحمصي، والدكتور محمد أحمد قاسم، جروس برس، بيروت، سنة ١٩٩٨م.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- بحوث ومقالات في اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، بالقاهرة، سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بالقاهرة، سنة ١٩٧٦م.

- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لعبد الله الترجمـــان، تحقيق الدكتور محمود علي حماية، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٩٢م.
- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعـــلام، للسهيلي، تحقيق عبد الله محمد علي النقراط، منـــشورات كليـــة الدعوة، بطرابلس، سنة ١٩٩٢م.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧م.
- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، المجلس الأعلـــى للشئون الإسلامية، بالقاهرة، سنة ١٤٢٣هـــ=٢٠٠٢م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور محمـــد أحمـــد الخـــراط، دار القلـــم، دمـــشق، ســـنة ١٤٠٦هـــ=١٩٨٦م.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمـــد عبـــده عزام، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٨٧م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبـــي الفـــضل إبـــراهيم، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٩٠م.
- ديوان الخرنق بنت هفان، تحقيق الدكتور حـــسين نـــصار، دار الكتب المصرية، بالقاهرة، سنة ١٩٦٩م.

- ديوان السموأل (ضمن ديوانا عروة بن الورد والسموأل) دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بالقاهرة، سنة ١٣٧٧هـ=١٩٥٧م.
- ديوان العجاج، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الشرق، دمشق، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.
- ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، سنة ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.
- ديوان المثقب العبدي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة، سنة ١٣٩١هـ=١٩٧١م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٩٠م.
- الرد على النصارى، للجاحظ (ضمن رسائل الجاحظ) تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- شرح ديوان عنترة بن شداد، تحقيق عبد المنعم عبد الرءوف شلبي، المكتبة التجارية، بالقاهرة، بدون تاريخ.
- شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ.
- شعراء النصرانية بعد الإسلام، للأب لويس شيخو اليسوعي، دار المشرق، بيروت، سنة ١٩٩١م.

- شعراء النصرانية في الجاهلية، للأب لويس شيخو اليسوعي، دار المشرق، بيروت، سنة ١٩٩١م.
- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، للدكتور خالد عبد الكريم جمعة، الدار الشرقية، بالقاهرة، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- الصاحبي، لابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، بالقاهرة، سنة ١٩٧٧م.
- الصبح المنير في شعر أبي بصير، تحقيق جاير، بيانة ١٩٢٧م مصورة مكتبة ابن قتيبة، بالكويت، سنة ١٩٩٣م.
- ضرورة الشعر للسيرافي، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- الظاهرة القرآنية، لمالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، بالقاهرة، سنة ١٩٩٨م.
- عصمة القرآن وجهالات المبشرين، للدكتور إبراهيم عوض، مكتبة زهرأء الشرق، بالقاهرة، سنة ٢٠٠٥م.
- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٩٨٧م.

- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق الدكتور خالـد فهمـي، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.
- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مصطفى البابي، بالقاهرة، سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- الفهرست للنديم، تحقيق رضا تجدد، دار المسيرة، بيروت، سنة ١٩٨٨م.
- فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، لأبـي الطيـب الفاسي، تحقيق الدكتور محمود يوسـف جمـال، دار البحـوث الإسلامية، بدبي، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، لمحمود محمد شاكر، مطبعة المدني، بالقاهرة، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخـانجي، بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨.
- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تحقيـق علـي دحـروج وآخرين، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٩٦م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بالقاهرة، سنة ١٩٧٢م.
- كشاف العبارات النقدية والأدبية في التراث العربـي، للـدكتور محمود الربداوي، مركز الملك فيصل للدراسـات الإسـلامية، بالرياض، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الريان للتراث، بالقاهرة، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- ما يجوز للشاعر في الضرورة، للقزاز القيرواني، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادي، الزهراء الإعلام العربي، القاهرة، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٩٨٨م.
- المذكر والمؤنث، للفراء، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.
- معاني القرآن، للأخفش، تحقيق الدكتورة هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤١١هـ=١٩٩٠م.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٠م.
- معاني القرآن وإعرابه، تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي، دار الحديث، بالقاهرة، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٩٥م.
- معجم الخطأ والصواب، للدكتور إميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩١م.

- معجم القراءات القرآنية، للدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، سنة ٢٠٠٠م.
- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، للسيوطي، المكتبة الأزهرية، القاهرة، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، للدكتور محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، سنة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م مصورة مكتبة ابن تيمية بدون تاريخ.
- النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، دار الشروق، القاهرة، سنة ١٤٠١هـ =١٩٨١م.
- هل القرآن معصوم، لعبد الله الفادي، النمسا، سنة ١٩٩٤م.



الدراسة الثانية :

الإسهام الأنثوى فى الدرس اللغوى العربى

الإسهام الأنثوي في الدرس اللغوي عند العرب من منظور الرواية والاحتجاج

إن المخاطر المتوقعة في المستقبل والتي تبدت بعض علاماتها اليوم لن تفرق بين الرجال والنساء!

هذا مفتتح يمثل أيسر رد يمكن أن نسوقه عموما في وجه المتعصبين للحركة النسوية التي قامت في الأساس واكتسبت شرعيتها في الثقافة الغربية؛ لأن "المنطلق الأساسي للنسوية الجديدة ما بعد الحداثية هو نقد ورفض مركزية النموذج الذكوري للإنسان التنويري الحداثي العاقل؛ الوجه الآخر للمركزية الأوروبية، ومركزية الحضارة الغربية التي سادت العالمين"[1].

وهذا البحث يقف موقف المعارض لهذه الحركة النسوية في الثقافة العربية والإسلامية، أو في المجتمعات العربية؛ لأنه وإن قامت الحركة النسوية في الفكر الغربي لمواجهة ما يسمى بمصطلح "مركزية العقل الذكوري pallogocentrisme التي تبلور القيم الذكورية المستبدة المهيمنة على الحضارة. وكانت وسيلة الرجل الأبيض (الغربي) لقهر العالمين، وإحداث المصائب والويلات التي تعاني منها الحضارة الإنسانية في أركان الأرض الأربعة والتي تتلخص في أن مركزية العقل الذكوري الغربي قد قهرت ثالوث الأطراف؛ قهرت المرأة، وقهرت الطبيعة، وقهرت شعوب العالم الثالث"[2] - فإن الأمر مختلف تماما في

[1] أنثوية العلم ١٤.

[2] أنثوية العلم ص ١٤.

تاريخ الفكر العربي والإسلامي، حيث لم يحدث ذلك القهر؛ لأي من هذه العوالم الثلاثة أو غيرها مجتمعة أو منفردة.

بل إن تاريخ العلم عند المسلمين يشهد بإسهام المرأة في كثير من مناحي نشاطاته، ولاسيما فيما يمثل أخطر جوانب العلم المتمثل في العلم الشرعي، فلقد أسهمت المرأة في علوم القرآن الكريم، والحديث النبوي، وجلست للإفتاء، والتحديث حتى في عصور ما سُمي بزمان الانهيار أو التراجع السياسي إبّان عصر الجلال السيوطي، مع بدايات القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي وما بعده.

وهذا البحث يرمي إلى بيان إسهام المرأة العربية في بناء صرح الدرس اللغوي في تراث الدراسات اللغوية العربية من جانب.

كما أنه يهدف من جانب آخر إلى أن يوضح أن الرجل/الذكر، لم يقهر المرأة، ولم يستنكف أن يروي لها أو عنها، ويدوّن إسهامها في كبريات الكتب اللغوية العربية أيّاما كان نوع هذه الكتب أو مجالها المعرفي الخاص منذ بدء ذلك النشاط العلمي في نطاق الثقافة العربية والإسلامية.

وبهذا يمكن توجيه نظر حملة الفكر النسوي في الإطار الجغرافي العربي إلى استثمار هذه الروح للسعي نحو الأفضل؛ لأن الرجل/الذكر العربي المسلم لم يسع يوما إلى احتكار العلم باعتباره مؤسسة حضارية، بل إن الرجل/الذكر كان يسعى يملؤه الشوق إلى المعرفة من شيخات كان لهن دور رائد في تاريخ العلم عند المسلمين باعتراف الجنس الذكوري نفسه، أو بإقرار الرجل العربي نفسه لدرجة

أن ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ=١٢٠١م يذكر كثيرات في كتابه أعمار الأعيان[1] كان لهن أثر بارز في الحضارة العربية.

ومثلما كتب أبو عبد الرحمن السُّلمي المتوفى ٤١٢هـ=١٠٢٢م كتابه طبقات الصوفية[2] مخصصا إياه لمشاهير الصوفية من الرجال على خمس طبقات، فقد ألّف كتابه: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات[3]، أخلصه لترجمة أربع وثمانين امرأة متعبدة صوفية.

وإذا كان علماء الحديث يعرفون نماذج كثيرة لمشيخات الرجال، فقد عرف تاريخ هذا العلم عند المسلمين لنساء محدِّثات ألّفها رجال من مثل:

العمدة من الفوائد والآثار والصحاح والغرائب في مشيخة شهدة[4]، المتوفاة سنة ٥٧٤هـ=١١٧٨م، قام عليها تلميذها أبو محمد الحافظ، عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن الأخضر.

ومن أشهر الأمثلة في الإقرار والاعتراف بأثر المرأة في باب من علوم المسلمين كتابان في الانتصار لعلم أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ــ في مواجهة الصحابة، أحدهما هو الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة لبدر الدين الزركشي[5] المتوفى

[1] انظر على سبيل التمثيل أعمار الأعيان ص ٦٠، ٧٨.

[2] حققه ونشره المرحوم نور الدين شريبه بمكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

[3] حققه المرحوم الدكتور محمود الطناحي بمكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

[4] حققه الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب بمكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤١٠هـ=١٩٩١م.

[5] حققه الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب بمكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

سنة ٧٩٤هـ=١٣٩٢م، وثانيهما هو عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة[١] للجلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

ويستمد هذا البحث شرعيته من إدراكه ـ من دون مبالغة ـ أنه ربما تكون هذه من أوائل المرات التي يلتفت فيها إلى الاستشهاد والاحتجاج بالشاهد النسائي في هذا السياق لندفع به تهمة تشغب بها أنصار الحرية النسوية، مع الإقرار كما جاء في أول حاشية من حواشي البحث تعليقا على عنوانه أن ثمة من التفت إلى العناية بما قدمته المرأة في بعض السياقات المعرفية الأخرى لكن في غير مجال اللغة. كما التفت البحث إلى الكتاب الرائد للمرحوم الدكتور أحمد مختار عمر (١٩٣٣ـ٢٠٠٣م) اللغة واختلاف الجنسين الذي دفعه إليه ما دفعنا إلى هذا البحث وهو محاولة الدفاع عن العربية في وجه من يتهمها لكنه لم يقترب أو يتماس معنا في نقطة الرواية أو الاحتجاج.

وهذه الورقة تهدف إلى بيان أن العلوم اللغوية عند العرب القدماء لم تزدرِ المرأة، أو تهمشها وسيتوقف هذا البحث عند أمرين اثنين يرى أنهما دالان في هذا المقام وهما: مقام الرواية، ومقام الاحتجاج بما جاء عن النساء.

أولاً: الإسهام الأنثوي في الدرس اللغوي عند العرب:
(المرأة الراوية)

حكم البعدان الزماني والمكاني النظر اللغوي القديم في معالجة قضية الاحتجاج ومصادره من جانب، وفي قضية الرواية والجمع اللغوي من جانب آخر.

---

[١] حققه الدكتور عبد الله محمد الدويش بمكتبة العلم بالقاهرة سنة ١٤٠٩هـ=١٩٩٨م.

بمعنى أن المعيار الزماني أو تقسيم الشعراء إلى طبقات كان هو الأساس في النظر إلى الشواهد الشعرية التي اتُّخذت أدلة على صحة اللغة معجماً ونظاما أو ألفاظا ونحواً.

كما كان المعيار المكاني متآزراً مع المعيار الزماني حاكما في تقسيم البيئات والقبائل إلى بيئات يصح الاحتجاج بكلامها تبعا لقربها أو بعدها من البادية أو الحضر.

لكن الحق يقتضي أن نقرر أنه لم يحدث أن وقع في مسألة النظر إلى مصادر الاحتجاج اللغوي-الالتفات أو الإشارة إلى اعتماد عنصر الجنس، أو تقسيم الراوي اللغوي وقبول رواياته تبعا لجنسه، رجلا كان أو امرأة، فقد أخذ اللغويين العرب ورووا عن العرب جميعا رجالا ونساءً، فالشائع الشهير هو أن: "القدماء قد ذهبوا إلى أن اللغة العربية تجري في دماء العرب، فقد أخذوا اللغة عن العرب حتى عن الأطفال والمجانين والنساء"[1].

وبعيدا عن فكرة جريان اللغة في دماء العرب التي لا نقبلها أو نوافق عليها، التي تمثل عمود الصورة في موضوع السليقة اللغوية-فإن اللغويين العرب لم يطردوا فريقا أو أحداً من دائرة الرواية اللغوية تبعا للذكورة أو الأنوثة، وهو ما يشغلنا الآن.

إن تجنب الرواية عن المرأة هو ما لم نجد له أثرا في كتب النظرية اللغوية العربية، كالمزهر في علوم اللغة، للجلال السيوطي في

---

[1] فصول في فقه العربية ص٩٦. وانظر قائمة بالقبائل التي يصح الاستشهاد بنثرها: المزهر ١/١٣٧ والحروف للفارابي ١٤٧ والاستشهاد والاحتجاج في اللغة ١١٤ والمستوى اللغوي للفصحى واللهجات ٦٨.

الفصل الذي عقده للحديث عمن تؤخذ اللغة منه، وتقبل، أو لا تؤخذ منه وتُرَد[1].

ولذلك وجدنا عددا من مؤلفات تراجم النحاة واللغويين يـذكرون طائفة من الأعرابيات الراويات اللاتي كن مصدراً من مـصادر جمـع اللغة، التي قام بها، وألفها الرجل، فقد جاء في إنباه الرواة علـى أنبـاه النحاة للوزير القفطي المتوفى سنة ٦٤٢هـ=١٢٢٧م في الجزء الـذي خصصه لتراجم أصحاب الكنى، الأسماء التالية لعدد من النساء اللاتـي روى عنهن علماء اللغة في رحلة جمع اللغة:

الأعرابية الراوية	رقم ترجمتها	موضعها من الإنباه
١. جزلة الحرقية	٨٩٠	١٢٢/٤
٢. عتبة أم الحمارس	٨٧٢	١٢٠/٤
٣. غنية أم الهيثم	٨٨٦	١٢١/٤
٤. قريبة أم البهلول الأسدية	٨٨٨	١٢١/٤

وقد ذكر لهذه الأخيرة كتابين من تأليفها هما:

ـ كتاب المصادر. ـ وكتاب النوادر.

وقد كانت الأربعة الأسماء هي الأساس الذي أقام عليه الـدكتور عبد الحميد الشلقاني فصله عن الأعرابيات في كتابه الأعراب الـرواة، حيث يقرر أنه: "شارك في رواية اللغة أعرابيات أيضا. وتعرضن لمـا تعرض له الأعراب من خلط في البلد والاسم والشهرة"[2].

---

[1] المزهر ١٣٧/١.
[2] الأعراب الرواة ٢٦١.

والقفطي في التفاته إلى ما قدمه الأعراب الرواة والأعرابيات الراويات على وجه خاص مسبوق بما أورده النديم، صاحب الفهرست المتوفى سنة ٣٨٠هـ=٩٩٠م في سياق المقالة الثانية من كتابه، في أخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبهم يقول: "وقد اقتضى ذكرهم (أي أسماء فصحاء الأعراب المشهورين الذين سمع منهم العلماء) في هذا الموضع مع اختلاف أصقاعهم، وتباين أوقاتهم أن العلماء عنهم أخذوا"[1].

وقد ذكر من الأعرابيات:

١. غنية أم الحمارس.
٢. غنية أم الهيثم.
٣. قريبة أم البهلول الأسدية (وذكر لها كتابين هما كتاب النوادر، وكتاب المصادر).
٤. جزلة الحرقية[2].

وهي الأسماء الأربعة التي نقلها القفطي كما مرّ بنا.

وما نحب أن نعلي أمره هو ذلك الإقرار الذي ورد في خاتمة النقل الذي أوردناه، بأن علماء اللغة أخذوا علمهم عن هؤلاء الأعرابيات الراويات، ضمن من أخذوا عنهم، ولم يهملوا ما لديهن؛ لأنهن نساء؛ ذلك أن الإسلام لم يرَ تلك التفرقة، بل أقر المساواة بين الرجل والمرأة.

---

[1] الفهرست (رضا تجدد) ٤٩، ٥٣.
[2] الفهرست (رضا تجدد) ٤٩، ٥٣.

وهو ما استقر في ضمير جامعي اللغة من الرجال في ذلك العصر الأول المتقدم.

ولم يقف الأمر في مسألة أخذ اللغة في عملية جمعها الأول عن الأعرابيات الراويات عند حد الموافقة أو القبول النظري كما ورد في أدبيّات تراجم النحاة واللغويين، وغيرهم ممن مر بك بعض نماذجه وأمثلته، بل خرج الأمر إلى التطبيق، بمعنى أن متابعة عمل اللغويين والنحويين في مؤلفاتهم المبكرة تؤكد هذا الإسهام الأنثوي في أول أشكاله المتمثل في الرواية والأخذ عن المرأة، لدرجة أن عددا من أكابر اللغويين اشتهر عنهم الأخذ عن الأعرابيات، فيقال: أم الهيثم صاحبة المبرد، والدبيرية التي يروي عنها الفراء.

وهذه بعض الأمثلة التي رويت في كتب اللغة تؤكد الرواية عن المرأة:

- الجيم لأبي عمرو (ر م خ) ٢٩٨/١ "وقالت الطائية: الرمخ: ما سقط من البسر وهو أخضر، فنضج" (النخل لأبي حاتم ٧٧).
- الجيم لأبي عمرو (ن ط و) ٢٠٧/٣ "وقالت الطائية: المناطاة: أن تجلس امرأتان فترمي كل واحدة منهما إلى صاحبتها بكبّة غزل حتى تسدّي ثوبها".

والجيم من المعاجم التي أكثرت في الأخذ عن الرواة عموما رجالاً، ونساءً، ولن يؤثر هنا إن كان ما ورد فيه منسوبا إلى رواة

بأعيانهم، أم كان منسوبا إلى مطلق منسوبين إلى قبائل. على الخلاف الدائر بين الدارسين حول هذه المسألة[1].

ومثل تلك النماذج ما أورده أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي في معجمه الغريب المصنف، حيث يقول ١٥٥/١ (العبيدي): "الفراء، قال: قالت الدبيرية: البخنق: خرقة تلبسها المرأة على رأسها من الدرع. والجنة: خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها ما قَبَلَ منه وما دبر غير وسط رأسها. والصقاع: خرقة تكون على الرأس تُوَقي بها الخمار من الدُهن".

وقد التفت إلى ذلك أستاذي المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب، فقال: ذُكرت (الدبيرية) في الغريب المصنف مرة واحدة بطريق الفراء، وعلى هامش مخطوطة الأحمدية بتونس..... من الغريب المصنف توجد في هذا الموضع العبارة التالية: "امرأة منسوبة إلى دبير، وهي قبيلة من بني أسد"[2].

وقد أمكن ملاحظة الأسماء التالية لأعرابيات راويات يكثر ذكرهن في الكتب اللغوية:

١. أم الهيثم صاحبة المبرد (انظر: الأعراب الرواة ٢٦٢).

[1] يرى محقق الجيم في مقدمة تحقيقه ٣٧/١ أن الجيم يعد "خطوة أولى استصفى فيها أبو عمرو الكلمات من شعر القبائل الذي جمعه ثم ضم إلى كل كلمة شاهدها مصرحا باسم القبائل إن كان أو مشيرا إلى قبيلته إن فقد اسمه، وما أكثر ما جاء في الجيم: الأكوعي والسعدي ... وهو لا يريد واحد بعينه، وإنما يريد واحدا منسوبا إلى قبيلة من هذه القبائل" وهذا الذي ذهب إليه محقق الجيم مختلف فيه عند المعاصرين. انظر فصول في فقه العربية ٢٧١ حيث يخالف المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب ذلك الرأي.

[2] مقدمة تحقيق الغريب المصنف ١٢١/١.

٢. أم الهيثم المنقرية (انظر: المزهر ٢/٥٤٠ والأعراب الرواة ٢٦١).

٣. جزلة الحرقية (انظر: إنباه الرواة ٤/١٢٠ والفهرست ٦٣، والأعراب الرواة ٢٦٤).

٤. حمادة بنت أبي مسافر عجوز راوية (انظر: مجالس ثعلب ١/٢٣٧).

٥. الدبيرية الأسدية (هامش مخطوطة الأحمدية للغريب المصنف).

٦. زهراء الأعرابية الكلابية (انظر: الأعراب الرواة ٢٦٤).

٧. شماء الأعرابية الكلابية (انظر: الأعراب الرواة ٢٦٥).

٨. الطائية (انظر: الجيم ٣/٢٧١).

٩. عتبة أم الهيثم الكلابية (انظر: الفهرست ٦٣).

١٠. غنية أم الهيثم الكلابية (انظر: الإنباه ٤/١٢١).

١١. غنية أم الحمارس البكرية (انظر إنباه الرواة ٤/١٢١،١ والأعراب الرواة ٢٦٥).

١٢. قريبة أم البهلول الأسدية (انظر: الفهرست ٦٣ والأعراب ٢٦٦).

ثانيا: الإسهام الأنثوي في الدرس اللغوي عند العرب:

(الشواهد النسائية مصدرا للتوثيق والاحتجاج في اللغة والنحو)

لم يغب الدليل عن حركة العلم عند المسلمين في أي مجال من مجالاته، ولا أدل على ذلك من تعانق الرواية أو التفسير أو الشرح اللغوي مع الشاهد منذ أقدم تأليف وصل إلينا، فقد كان ملازمة الدليل أمراً ميّز التأليف، لارتباطه بالقرآن الكريم وسوف ينشغل هذا البحث في هذه النقطة تحديدا باتخاذ الشواهد النسائية الشعرية على وجه الخصوص

كمصدر من مصادر الاحتجاج والتوثيق لما جاء في الكتب اللغوية المعتمدة.

وسوف يضع هذا البحث أمامه الكتب الأمهات الأوائل في العلوم اللغوية المختلفة نحوا، ومعجما، وفقه لغة. وقد لوحظ أن كثيرا من علماء اللغة كانوا يرحلون لزيارة الأعرابيات للرواية عنهن[1].

كما سنرى أن علماء اللغة قد استشهدوا بشواهد نسائية وهو المحور الثاني الذي اخترناه متمما لقراءة الإسهام الأنثوي في الدرس اللغوي عند العرب، من خلال فحص النصوص التالية، والتوقف أمام هذه النماذج مقصود، لأوليتها، وعلوها في بابها المعرفي الذي تمثله:

١. العين، للخليل بن أحمد ١٧٥هـ.
٢. الجيم، لأبي عمرو الشيباني ٢١٣هـ.
٣. الغريب المصنف، لأبي عبيد ٢٢٤هـ.
٤. ديوان الأدب، للفارابي ٣٥٠هـ.
٥. مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، برواية أبي بكر الختلي وابن العلاف ٤٤٢هـ.
٦. كتاب سيبويه ١٨٠هـ.
٧. الخصائص لابن جني ٣٩٢هـ.
٨. مجالس ثعلب ٢٩١هـ.
٩. معاني القرآن للأخفش ٢١٥هـ.
١٠. ما تلحن فيه العامة، للكسائي ١٨٩هـ.
١١. الأصول في النحو، لابن السراج ٣١٦هـ.

---

[1] انظر: العربية، ليوهان فك (النجار) ٨٨ و(رمضان عبد التواب) ٩٦ وفيه "ولما زار العلامة الكبير أبو عبيدة أم الهيثم التي عُرفت بأنها أعرابية فصيحة بليغة الكلام"

وقد توسعنا في هذه القائمة لندلل على تفشي الأخذ عن المرأة والاستشهاد بشعرها على صحة الألفاظ والأساليب، في النظام اللغوي العربي من جانب، ولتغطية جوانب الدراسات اللغوية العربية المتعددة من جانب آخر.

والتوقف أمام الشواهد الشعرية نابع من الإيمان بأنها كانت أكثر الشواهد دوراناً في كتب القوم، وللعناية الفائقة التي لقيها الشعر، حتى قيل: الشعر ديوان العرب.

فعلى الجانب الآخر نقرر أن للشواهد النثرية المروية عن النساء متوافرة ولاسيما فيما يتعلق بآثار الصحابيات والتابعيات.

وقد احتلت الرواية عن عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما المنزلة العالية في هذا المضمار، ومما روي عنها في العين ما يلي:

- العين (رحض) ١٠٣/٣ "قالت عائشة في عثمان (رضي الله عنهما): استتابوه حتى إذا تركوه كالثوب الرحيض أحالوا عليه فقتلوه" [النهاية (رحض) ٢٠٨/٢].
- العين (سحر) ١٣٦/٣ "السحر: أعلى الصدر، ومنه حديث عائشة، توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بين سَحْري ونحري" [المجموع المغيث (سحر) ٦٥/٢].
- العين (ديم) ٨٦/٨ "في حديث عائشة (رضي الله عنها) أنها سئلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفضل بعض الأيام على بعض، فقالت: كان عمله ديمة" [تفسير غريب ما في الصحيحين ٥٤٥].

١- أما الشواهد الشعرية فمنها في العين ما يلي:

- العين (عول) ٢٤٨/٢ "والعول: كل أمرٍ عالَك. قالت الخنساء [من المتقارب]:

" يكلفه القوم ما عالهم وإن كان أصغرهم مولداً ".

- العين (عجل) ٢٢٨/١ "والعجول من الإبل: الواله التي فقدت ولدها.... قالت الخنساء [من البسيط]:

" فما عجول على بوٍّ تطيف به قد ساعدتها على التحنان أظآر".

- العين (صغر) ٣٧٢/٤ " الإصغار: حنينها (أي الناقة) الخفيض، والإكبار: حنينها الرفيع، قالت الخنساء [من البسيط]:
حنين والهة ضلت أليفتها لها حنينان إصغار وإكبار".

- العين (قمطر) ٢٥٨/٥ "اقمطرت عليه الحجارة: أي تراكمت، قالت الخنساء [من البسيط]:
في جوف لحد مقيم قد تضمنه في رمسه مقمطرات وأحجار".

٢- ومن المعاجم التي اعتنت بالرواية والاستشهاد بشعر المرأة معجم الجيم لأبي عمرو الشيباني:

- الجيم (كيح) ١٦٢/٣ "الكيح: قبل الجبل، وقالت أم الكميت: [من الرجز]

مثل الخليج ناجت فيه الريح.
ليس له زاوية ولا كيح".

- الجيم (قعد) ١٠٧/٣ "القُعّاد من النساء: اللواتي لا يلدن، والمرأة قاعد: قالت لبنى لزوجها: [من الرجز]:

فلا تغنّوني مع القعاد

واستعجلوا ببازل جواد".

- الجيم (ردأ) ٢٨٨/١ "وقالت امرأة من بنى أسد: [من الرجز] [في أردأ بمعنى سكّن]:

إن بصيرا وسنُ الفؤاد

وهبه لي رازق العباد

من بعد ما طال به إرصادي

قد أردأ الشيخ إلى الوسادِ

وقال هو صارم الفؤاد

ضهيأة أو عاقر الجماد".

- الجيم (رطل) ١٠/٢ "الرَّطْل: الغلام لم يحتنك ولم يدرك، وقد يدعى الضعيف رطلا، قالت غادية الدبيرية [من الرجز]:

لا تولعوا بالروس واستقروا

إن الغلام الرطل يستمر".

- الجيم (عوص) ٣٤٥/٢ "وقالت الخرنق في العويص (ما حول الأنف) [من الطويل]:

هم جدعوا الأنف الأشم عويصه وجبّوا السنام فالتحوه وغاربَه".

- الجيم (عيل) ٣٠١/٢ "المعيّل: الضائع، قالت ليلى [من الطويل]:

فلو كنت إذ جاريت جاريت فانيا جرى وهو قَحم أو ثنيا مُعيَّلا".

- الجيم (زعم) ٧٧/٢ "قالت ليلى في الزعيم (سيد القوم) [من الكامل]:

حتى إذا برز اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما".

- الجيم (كتم) ٣/١٧٥ "وقالت ليلى في الكُتُوم (من القسي التي لا ترن إذا نبضت) [من الكامل]:

قوم إذا غضبوا تزيد قناتهم ضلعا إذا قايستها وكُتُوم".

- الجيم (خلل) ١/٢٣٧ "قالت هند بنت قرة [من الكامل]:

فابكي لبيت قد أخلك أهله كانوا إليهم منزل الضيفان".

٣- وقد ظهر قريبا من معجم الجيم معجم آخر كان له أولية في المنهج الذي نهجه واتبعه لنفسه هو معجم الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، مرتبا وفق الموضوعات والمعاني.

وأبو عبيد القاسم بن سلام رجل محدِّث يعرف قيمة الرواية والاحتجاج، وله معرفة واسعة بما يجب توافره في الرواة من أحوال، وروايته واحتجاجه بشواهد نسائية دالة في هذا السياق تحديدا. ومن الشواهد النسائية في معجمه ما يلي:

- الغريب المصنف (باب نعوت الكثيرة من الإبل) ٣/٨٥٩ "الأحمر: الرُعاوى، والرّعاوى جميعا: الإبل التي يُعتمل عليها، قال الشاعر، وهو لامرأة تخاطب زوجها [من الطويل]:

تمششتني حتى إذا ما تركتني كنضوِ الرعاوى قلت إني ذاهب".

- الغريب المصنف (باب فَنْعَلِل) ٢/٥٥٨ " الأصمعي: المسمئل: الضامر وأنشدنا: [من الكامل] وهو لسلمى الجهنية:

يرد المياه حضيرة ونفيضة ورد القطاة إذا اسمأل التبع".

- الغريب المصنف ٣/٩٥٣ "أبو زيد: أحسبته: أعطيته ما يرضى، وأنشدنا لامرأة من بنى قشير [من الطويل]:

ونقضى وليد الحي إن كان جائعا وتحسبه إن كان ليس بجائع".

- الغريب المصنف (باب السحاب ونعوته) ٤٩٧/٢ "الكرفئ واحدته: كرفئة، وهي متراكمة، قال الشاعر: [وهي الخنساء والبيت من المتقارب]:

ككرفئة الغيث ذات الصبير.

- الغريب المصنف ٣٤٩/١ "الأموي: العرين: اللحم، وأنشد لغادية الدبيرية [من الطويل]:

موسّمة الأطراف رخص عرينها".

- الغريب المصنف ١٧٦/١ "الأحمر: الاضطعان: الاشتمال وأنشدنا للعامرية [من الرجز]:

كأنه مضطعن صبيتا".

٤- وممن اعتمد الرواية والاحتجاج بشواهد من شعر النساء على صحة المادة اللغوية المدوّنة في المعاجم العربية ــ الفارابي، إسحاق بن إبراهيم اللغوي في معجمه ديوان الأدب، وهو معجم مرتب وفق نظام الأبنية معتمدا على منهج القافية أو السجع أو الترتيب الهجائي الألفبائي المعكوس، وهو المنهج الذي يمثل السر في عنونة هذا المعجم بعنوان ديوان الأدب[1].

---

[1] كان من تعليق أستاذي المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه فصول في فقه العربية ٢٧٤ في سياق حديثه عن ديوان الأدب قوله "وهذا الكتاب لا يمت إلى الأدب بصلة كما يوهم عنوانه بل هو معجم لألفاظ اللغة العربية"! والعنوان عندنا مقصود بالنظر إلى منهجه الذي تبناه؛ وهو ترتيب الأبنية على الحرف الأخير وهو ما يسمى بمنهج القافية، فهو وُضع لمساعدة الأدباء في الوقوع على قوافيهم ومن أجل ذلك رأى فيه الفارابي ديوانا للمادة الأولى التي يريدها الأدباء، وهي الألفاظ

والتمثيل بديوان الأدب مقصود لأوليته في مجال معاجم الأبنية. وقد ورد في ديوان الأدب عدد من الشواهد النسائية منها ما يلي:

- ٤٦٥/١ (ثمال) = القائم بأمر القوم، وشاهده بيت جَنوب أخت عمرو ذي الكلب (من المتقارب):

بأنك ربيع وغيث مريع   وقِدْمًا تكون هناك الثمالا

- ٢٤٨/٢ (رَهِل)=المضطرب اللحم، وشاهده بيت متنازع النسبة بين زينب بنت الطثرية، أو أمها، أو وحشية الجرمية، أو العجير السلولي، أو أبيرد [من الطويل]:

فتىً قُدّ قدّ السيف لا متآزف   ولا رهل لباته وبآدله.

- ٣٢٤/٢ (تُبّع)=الظل وشاهده بيت سعدى أو سلمى الجهنية على الأرجح، ويروى لأبي ذويب [من الكامل]:

يرد المياه حضيرة ونفيضة   ورد القطاة إذا اسمأل التبّع.

١١/٤ (خصي) وشاهده بيت متنازع النسبة بين سلمى الهذلية، أو شماء الهذلية، أو جندل بن المثنى أو خطام المجاشعي [من الرجز]:

كأن خصييه من التدلدل

[سحق جراب فيه ثنتا حنظل].

- ١٥٩/١ (حُرم)=إحرام وشاهده حديث عائشة رضي الله عنها:

قالت عائشة رضي الله عنها: "كنت أطيبه لحله وحُرْمه"؛ أي عند إحرامه"

مرتبة وفق حرفها الأخير لتناسب تقنيات الكتابة القديمة شعرا أو نثرا القائمة على وحدة القوافي والأسجعة.

- ٣٦١/١ (ذاقنة)-طرف الحلقوم، وشاهده حديث عائشة رضي الله عنها: "ومنه قول عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وبين حاقنتي وذاقنتي".

- ١٧/٢ (جحران)-موضعا عورة المرأة جمع جحر وشاهده حديث عائشة رضي الله عنها:

"قالت عائشة رضي الله عنها: إذا حاضت المرأة حَرُم الجحران".

- ٣٦٦/٣ (غواث)-صوت الاستغاثة، وشاهده بيت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وربما نسب للعامري [من الوافر]:

بعثتك مائرا فلبثت حولا　　　متى يأتي غواثك من تغيث.

- ٢٦٧/٢ (الأقبل)-الذي كأنه ينظر إلى طرف أنفه، قالت الخنساء، ويروى عن ليلى الأخيلية [من الوافر]:

ولما أن رأيت الخيل قبلا　　　تباري بالخدود شبا العوالي.

- ١٩/٣ (الصُد)-الجبل ومن شاهد ليلى الأخيلية [من الطويل]:

أنابغ لم تنبغ ولم تك أوّلا　　　وكنت صنيًا بين صدين مجهلا.

- ١٨٢/٤ (القتلى بواء)-متساوون في الديات، وشاهده بيت ليلى الأخيلية [من الطويل]:

فإن يكن القتلى بواءً فإنكم　　　متى ما قتلتم آل عوف بن عامرِ.

- – ومن المؤلفات المبكرة التي يمكن أن تندرج ضمن القوائم المبكرة للمفردات word-list، أو ما يمكن تسميتها ببواكير المعاجم

العربية، كتاب مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما.

وعلى الرغم من قلة عدد المسائل التي بلغت في الرواية التي اعتمدناها ٢٨٧ مسألة، فقد مثلت الشواهد النسائية في هذه القائمة بعدد إن يكن قليلا - فإنه دال على ما نقول به من اعتبار الشواهد النسائية، وعدم إهمالها منذ ذلك العصر المتقدم جدا من عمر الرواية اللغوية، ومن عمر الاحتجاج في مجال شديد الخطر هو تفسير ألفاظ القرآن الكريم. ومن هذه الأمثلة ما يلي:

- مسائل نافع بن الأزرق ٤١ مسألة ٧ "قال (نافع): فأخبرني عن قول الله عز وجل﴿وأنتم سامدون﴾ [سورة النجم ٥٣/٦١] قال (ابن عباس): لاهون.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت قول هزيلة بنت بكر، وهي تبكي عاداً، حيث تقول [من مجزوء الرمل]:

بعثت عاد لقيما وأبا سعد مريدا
وأبا جلهمة الخيـ ـر فتى أنجى العبودا
قِيلَ قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا

- مسائل نافع بن الأزرق ٤٦ مسألة ١٢ "فأخبرني عن قول الله عز وجل﴿الله أحد الله الصمد﴾ [سورة الإخلاص ١١٢/١-٢] قال: أما الأحد فقد عرفتُه. فما الصمد؟ قال: الذي يصمد إليه في الأمور كلها [أي يتوجه إليه بطلبها]، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت بقول الأسدية حيث تقول [من الطويل]:

[وهي هند بنت معبد بن نضلة الأسدية] وقد تتوزع في نسبته بينها وبين سبرة بن عمرو الأسدي:

ألا بكَّر الناعي بخيرَي بني أسد
بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد.

٦- ومثلما حدث في المعاجم اللغوية التي قام عليها الرجال على تنوع مناهجها أن اعتمدت شواهد نسائية في الاحتجاج على ما دونته من ألفاظ لغوية ـ فقد اعتمد النحاة العرب وهم الرجال في مؤلفاتهم النحوية على شواهد نسائية في الاحتجاج بها على عدد من المسائل الأسلوبية والتركيبية، من دون اعتراض أو احتراز أو تقليل لقيمتها الحجية والتوثيقية، لمجرد أنها منسوبة إلى امرأة، وفيما يلي تصديق لقبول شهادتها.

فمن المؤلفات النحوية المبكرة كتاب سيبويه وهو كتاب لا يمكن النيل منه أو من مكانته في تاريخ التراث النحوي اللغوي عراقة ونفاسة وصحة وعلوا، فالتوقف أمام سيبويه باعتباره صاحب أول مؤلف نحوي يصل إلينا مقصودٌ لما ذكرنا.

وقد اعتمد سيبويه عددا من الشواهد النسائية في سياق احتجاجه على صحة عدد من التراكيب العربية.

وقد وصل بها المرحوم الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة إلى تسع شواعر يقول رحمه الله في كتابه: فهارس كتاب سيبويه ودراسة له (ص١٨٨) تحت عنوان: "الشواعر في كتاب سيبويه:

١- حميدة بنت النعمان.
٢- خرنق بنت هفان.
٣- الخنساء [بنت عمرو].
٤- ثُرنَى بنت عبعبة.

٥- صفية بنت عبد المطلب. ٦- ليلى الأخيلية.
٧- بنت مرة بن عاهان. ٨- ميسون بنت بحدل الكلابية.
٩- هند بنت عتبة".

وهذه التسعة الأسماء جاءت في مقابل ٢٢٩ اسما للشعراء الرجال من غير احتساب للقوافي العائرة، غير المنسوبة بنسبة تمثل ما يقرب من٠,٠٤٠٪ من مجموع الشعراء المذكورين في الكتاب، وهي نسبة قليلة ولا شك لكنها كافية في هذا المقام، وهي قائمة تتَازعها أزمان الجاهلية وصدر الإسلام والدولة الأموية.

وقد أضاف إليها المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب في دراسته: أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه عددا آخر من الشواعر من واقع ما استطاع عزوه من الشواهد التي كان يُظن أنها عائرة النسبة في الكتاب وهن كما يلي:

١- بنت أبي حصين المذحجية. ٢- شماء الهذلية.
٣- أسماء الهذلية. ٤- الفاختة بنت عدي (أو نائحة عدي بن أخت الحارث بن أبي شمر).
٥- الفارعة بنت معاوية بن قشير.
٦- وإليك الشواهد النسائية في الكتاب:

الكتاب(هارون)	الشاعرة	البحر	موطن الشاهد
٢٨٠/٤	ليلى الأخيلية	من الطويل	بقاء همزة أفعل للضرورة الشعرية.

- تدلت على حُص الرءوس كأنها

كرات غلام في كساءٍ مؤرنب

٣٣٧/١	الخنساء	من البسيط	الاتساع في الإخبار بالمصدر عن أسماء الفاعلين.

- ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت فإنما هي إقبال وإدبار

٥٨/٢،٢٠٢/١، ٦٤	الخرنق بنت هفان	من الكامل	إعمال المشتق الطيبون في معاقد لثبات نون الجمع.

- لا يبعدن قومي الذين هم سمّ العداة وآفة الجزر.
- النازلون بكـل معتـرك والطيبون معاقدَ الأزر.

وفي الموضع الثاني ٥٨/٢،٦٤ استشهد به برواية (النازلين) نـصبا على المدح والتعظيم، ورواية الرفع على الابتداء.

٣٥٧/٢	فاختة بنت عدي	(أسطورة الأبيات ١٠٧) من الوافر	مجئ الضمير المنفصل إياك لعدم إمكان استخدام الضمير المتصل.

- لعمرك ما خشيت على عديٍّ سيوف بنى مقيّدة الحمار.
- ولكني خشيت على عـدي سيوف القوم أو إيّاك حار.

٥٠٥/٣	الفارعة بنـت معاوية	(أسطورة الأبيات ١٠٧) من الوافر	تنوين نوفل مع وصفه بابن.

- هي ابنتكم وأختكم زعمتم لثعلبة بن نوفلٍ ابن جسرِ.

٢٤٨/٢	حميدة بنت النعمان	(أسطورة الأبيات ١١٣) من الطويل .	منع صرف جذام حملا على العلمية والتأنيث مع إمكان تنوينه للتذكير.

- نبا الخز عن رَوح وأنكر جلده
  وعجّت عجيجا من جذامَ المطارفُ.

٤٥/٣	ميسون بنت بحدل	(أسطورة الأبيات ١١٤) من الوافر	نصب تقر بأن المضمرة لانعدام عطفه على ما قبله وهو اسم.

- للبس عباءة وتقرّ عيني أحب إليّ من لبس الشفوف.

٥١٦/٣	بنت مرة بن عاهان	(وفي أسطورة الأبيات ١١٤ لبنت أبي الحصين المذحجية) من الوافر	توكيد فعل الشرط بالنون وليس من مواضع التوكيد.

- من يثقَفَنْ منهم فليس بآئب أبداً وقتل بني قتيبة شافي.

٣٤٤/١	هند بن عتبة	(أسطورة الأبيات ١١٦) من الطويل	نصب أعياراً بفعل للدلالة على التنقل والتحول.

- أفي السلم أعيارا جفاء وغلظة

وفي الحرب أشباه الإماء العوارك.

٥١٢/٣	ليلى الأخيلية	من الطويل	توكيد الفعل بالنون في ليفعلن.

• تُساور سوّارا إلى المجد والعلا

وفي ذمتي لئن فعلت ليفعلا.

٣١٦/١	الخنساء	من المتقارب	نصب فا= فم بفعل محذوف.

• وداهية من دواهي المنو ن ترهبها الناس لا فا لها.

١٨٠/١	دُرنا بنت عبعبة	من الطويل	الفصل بين المتضايفين بالجار والمجرور.

• هما أخوا في الحرب من لا أخا له

إذا خاف يوما نبوةً فدعاهما.

٢٦١/١	ليلى الأخيلية	من الكامل	نصب ظالما ومظلوما مع إضمار كان.

- لا تقربن الدهر آل مطرّف   إن ظالما أبداً وإن مظلوما.

٣/٥٦٩،٦٢٤	شماء الهذلية	(أسطورة الأبيات ١٢١) من الرجز	إضافة ثنتا إلى حنظل على تقدير من حنظل.

- كأن خصييه من التدلدلِ

ظرف عجوز فيه ثنتا حنظلِ.

٣/١٨٢	صفية بنت عبد المطلب	من الرجز	استخدام أم لأنها جعلت الأقط والتمر شيئا واحداً.

- كيف رأيت زبرا

أقطا أو تمرا

أم قرشيا صقرا.

٧- فإذا ما انتقلنا بعيدا عن المعاجم اللغوية والمؤلفات النحوية التي اتخذنا من كتاب سيبويه نموذجا عليها إلى مؤلفات فقه اللغة عند العرب، وهي التي تحاول دراسة الظواهر اللغوية العربية ومحاولة تفسيرها، بقوانين مطردة في المستويات اللغوية المختلفة ـ رأينا الأمر نفسه وهو أمر الرواية عن النساء، واعتبار شواهدهن، وإيرادها في سياق الاحتجاج والاستشهاد.

ومن أهم المؤلفات العربية التراثية في هذا الميدان كتاب اللغوي ابن جني ٣٩٢هـ (الخصائص) حيث أورد فيه روايات عن الأعرابيات، بل تعدى ذلك فروى عن أعرابيات مجهولات يقول: "وروينا عن الفراء أنه قال: سمعت أعرابية من غطفان وزجرها ابنها، فقلت لها ردّي عليه، فقالت أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا. قال هذا من الوجه، أرادت يواجهني"[1].

وقد استشهد ابن جني محتجا بكثير من الشواهد النسائية على كثير من المسائل اللغوية من مثل ما يلي:

- ٢٠٥/٢ "قولها (أي الخنساء) من البسيط:

. . . فإنما هي إقبال وإدبار.

- ٢٧٣/٢ "قالت (الخنساء) من المتقارب:

. . . فإما عليها وإما لها.

- ٤٦/٣ "قولها (الخنساء) من المتقارب:

. . . فأولى النفس أولى لها.

- ١٧٥/٣ "ومنه بيت (الخنساء) من المتقارب:

أبعد ابن عمرو من آل الشريـــ ـــد حلت به الأرض أثقالها.

- ٢٩٦/١ "قول (درنا بنت عبعبة) أو (عمرة الخثعمية) من الطويل:

إذا هبطا الأرض المخوف بها الردى

يخفض من جأشيهما منصلاهما.

- ٨٠/١ "قولها (زينب بنت الطثرية) من الطويل:

فتىً قُدّ قدّ السيف لا متآزف ولا رهل لباته وبآدله.

---

[1] الخصائص ٧٨/٢ وانظر: الفهارس المفصلة لخصائص ابن جني ٢٦٣.

- ١٢٢/٢ "بيت (زينب بنت الطثرية) من الطويل:

إذا نزل الأضياف كان عذوّرا　　　رمين بالطرف مداه الأبعدا.

- ٢١٩/٢ "ومنه قول الأخرى (هند بنت عتبة) من الرجز:

لأنكحن بيّه　　　جــارية خدبه.

مكــرمــة محبه　　　تحب أهل الكعبه.

وهذه الشواهد تدل على اعتماد اللغويين العرب علـى بعـض الشواهد النسائية وامتداد زمان الاحتجاج بشعرها حتى عـصر الفـراء وابن جني كما رأينا.

٨- ومن الكتب اللغوية المتقدمة كتاب مجالس ثعلب ٢٩٣هـــ التـي اشتملت "على ضروب شتى من علـوم العربيـة، وضـمت فـي تضامينها كثيرا من المسائل النحوية على مذهب الكوفيين. ونستطيع أن نقول إن هذه المجالس من أهم الوثائق العلمية في بيان مـذهب أهل الكوفة"[١]، وإن لم تختف الرواية لأراء البصريين بإطلاق.

من هذه المواضع:

- ١٠٧/١ " وأنشد (ثعلب) وكثير من الناس ينـسبها إلـى حبّـة (أم منظور بن مرثد) من الرجز:

يأيها المغتر بالضــلال

إن كنت في تنحل الأقوال"

وهي قصيدة طويلة من خمسة وثلاثين بيتا أوردها.

---

[١] انظر مجالس ثعلب مقدمة المحقق ٢٤.

كما أنشد لغيرها يقول: "وأنشدنا أبو العباس (لغادية بنت قزعة) تقول لابنها، من الرجز:

يا ليته قد كان شيخا أرمصا

تشبّه الهـــامة منه الدومصا"

ثم أورد خمسة أبيات.

٩- ومن التراث اللغوي الكبير عند العرب تراث مؤلفات معاني القرآن وهي مؤلفات نحوية في المقام الأول، تتناول النص القرآني الكريم من بوابة النحو أو هي تفسير نحوي للكتاب العزيز.

وقد كان مرّ بنا أن الفراء كان يسمع من النساء الأعرابيات فيما نقله أبو عبيد في الغريب المصنف ثم فيما نقله ابن جني في الخصائص، وذلك مبثوث في كتابه معاني القرآن.

ومن هذه الكتب كتاب الأخفش ٢١٥هـ معاني القرآن. فقد أورد فيه مؤلفه عددا من الشواهد تدل على ما نحن بصدده من أمـــر عـــدم استبعاد المرأة من حلبة الإسهام في الدرس اللغوي عند العرب.

- ٥٩٦/٢ ومما جاء فيه؛ ما رواه الأخفش بإسناد مذكور عن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم أنها أتاها آتٍ في منامها فقال لها: "إنك قد حملت بسيد البرية سمّيه محمداً. وإن اسمه في التوراة أحمد".

ومن شواهد النساء في الكتاب:

- ٤٥٥/٢ وقال الشاعر [عاتكة بنت زيد] من الكامل:

هبلتك أمك إن قتلت لمسلما وجبت عليك عقوبة المتعمد.

- ١٠٣/١ [الخنساء] من البسيط:

ترتع ما رتعت حتى إذا ذكرت　　　فإنما هي إقبال وإدبار.

- ٣٦١/١ [للخنساء أو للزباء] من الرجز:

ما للجمال مشيها وئيدا　　　أجندلا يحملن أم حديدا.

١٠- ومما يوضح قيمة الشاهد النسائي وتقدير حجيته ما جاء في تراث لحن العوام، حيث اتُخذت شواهد النساء أدلة لتصحيح أخطاء وقعت، ولحن فيها.

ومن أوائل هذه المؤلفات كتاب ما تلحن فيه العامة للكسائي ١٨٩هـ.

ومن الأمثلة الواردة فيه:

- ١١٦- ويقال سوار المرأة يكون في يدها، ويقال: إسوار بالألف وبغير الألف، وفي الجمع أسورة وقالت الخنساء في الإسوار (من البسيط):

مثل الرديني لم تدنس حديدته　　　كأنه تحت طي البرد إسوار.

- ١٢٨- وتقول مشيت حتى أعييت بالألف وتقول عييت ..... قال الشاعر [امرأة مهزولة من العرب] (من الرجز):

تزحزحي عني يا برذونه.
إن البراذين إذا جرينه.
مع العتاق ساعة أعيينه.

١١- وإذا كنا رأينا الشاهد النسوي قد وجد مكانه في مؤلفات فروع النظرية اللغوية عند العرب، سواء على مستوى المعجم أو التراكيب والنحو أو على مستوى تراث فقه اللغة ولحن العامة - فإنه لم يغب كذلك عن مؤلفات أصول النحو:

ومن ثم فإن كتاب الأصول في النحو لابن السراج – أبي بكر محمد بن سهل المعروف بابن السراج المتوفى ببغداد سنة ٣١٦هـ – من أمهات كتب الفن.

"ولعله أخطر مصنف نحوي بعد سيبويه وقد عُني فيه عناية بالغة سيبويه والمبرد والأخفش الأوسط بحيث صار لزاما على من أراد أن يعرف نحو هؤلاء الأئمة أن يرجع إلى كتاب ابن السراج هذا"[1].

وقد أورد ابن السراج في ثنايا أبوابه عدداً من الشواهد النسائية وذلك اعترافا منه بقيمة تلك الشواهد:

- يقول ٢/١٥٠ "فمما نصب من الأفعال المضارعة لما عُطف على اسم قول الشاعر (من الوافر):

  للبس عباءة وتقر عيني أحب إليّ من لبس الشفوف.

  وهو لميسون بنت بحدل الكلابية زوج معاوية رضي الله عنه.

- ومنه ٣/٣٢٩ في الاستشهاد على صحة مني في مئين (قول الراجز):

  حيدة خالي ولقيط وعليّ.

  وحاتم الطائي وهّاب المئي.

- ثم زاد ٣/٣٣٢ عليها في موضع لاحق ثالثا:

  يأكل أزمان الهزال السني.

[1] فهارس كتاب الأصول في النحو ٣.

والأبيات لامرأة من بني عقيل أو لامرأة من بني عـــامر، وزاد المرحوم الدكتور محمود محمد الطناحي أنها لليلى الأخيلية في فهارسه للأصول ص٧٤.

أضف إلى هذا أنه لم يرد في قائمة الأسباب القاضية بـرد المرويات والشواهد في مجال اللغة تأثرا بما حدث في مجال الحديث - أي ذكر عن أن الرواية عن المرأة قاضية برد الشاهد المـروي عنهـا، لأنه جاء عن طريق النساء وليس في العوامل التي تمس الضبط التـي تُرد الرواية من أجلها شئ كذلك عن مجرد الرواية عن النساء[1].
إن اعتبار شواهد النساء أو الرواية عنهن أمر كافٍ في هذا السياق للرد على مزاعم الحركة النسوية فيما يتعلق بقهر الرجل للمرأة، إذ "الـشاهد هنا في البحث اللغوي يصدق دعوى أن تلك الكلمة أو الصيغة أو العبارة أو الدلالة من كلام العرب"[2].

ومن ثم فإن علم المرأة وشواهدها ومروياتها أسهم فـي بنـاء دراسات الشرع في جانب من جوانبها؛ لأنه قام علـى تفـسير الـنص العزيز، وشروح السنة المطهرة وهذان الأمران اعتمدا علـى شـواهد اللغة، ولم نجد في كتب القوم من الأوائل أو غيرهم في فنـون علـوم العربية من تنكر لشواهد النساء أو للرواية عنهن!

ومن ثم فإنه يمكننا أن نقرر في اطمئنان أن المرأة أسهمت فـي إثبات القاعدة[3]، وتأسيس صحيح الدرس اللغوي عند العرب.

---

[1] انظر مصطلح الحديث وأثره في الدرس اللغوي عند العرب ١١٦.
[2] الاحتجاج بالشعر في اللغة ٥١.
[3] الاحتجاج بالشعر في اللغة ٦١ وكشاف اصطلاحات الفنون (شهد) ٤/٩٩.

ومما تقدم يمكن أن نقرر أنه ظهر أن عقلية الرجل العربي المسلم، في مرحلة الجمع اللغوي أو التأليف والتقعيد لم تمارس عنصرية أو تحيزا أو قهرا ضد المرأة أكد ذلك ما رأيناه من روايته عنها في مرحلة الجمع اللغوي التي قام بها الذكور من علماء اللغة، ومما رأيناه من اعتمادهم الشواهد النسائية، واعتبارهم إياها حجة تقوم ــ مع غيرها مما هو منسوب للرجال ــ بعبء توثيق الألفاظ والأساليب، ولأن الاستشهاد أو الاحتجاج بما أنتجته قريحتها شعرا ونثرا في مجال اللغة والنحو أمر معتبر.

كما راعى البحث في النظر إلى الشواهد النسائية التي قالها نساء صحابيات رضي الله عنهن أو غيرها مما هو منسوب إلى نساء من غير من حاز شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم سواء كن من العصر الجاهلي أو بعد الإسلام، لئلا يقال إن الرواية عن المرأة ممثلة في عائشة أو صفية أو الخنساء، لأنهن صحابيات لا يسع المجتمع اللغوي الذكوري المسلم تجاهلهن، بل رأينا جاهليات وإسلاميات من غير العهد النبوي.

وقد انتبه البحث إلى أن الاكتفاء بشواهد الصحابيات وحدهن ــ وهو ما لم يحدث ــ يمكن أن يعزز من القول بالعنصرية أو التحيز للمرأة الصحابية، ومن هنا وجدنا شواهد المرأة أياما كان عصرها جنبا إلى جنب من دون أية تفرقة على أساس من دين أو زمان!

ولا شك أن النظر إلى الشاهد النحوي واللغوي باعتباره دليلا أمر ظاهر في هذا السياق؛ إذ إن العلم عند المسلمين ارتبط من بدء ظهوره باقترانه بطلب الدليل أو الحجة، أو الشاهد، وهو ما لمسه الذين ألفوا في مناهج التأليف، وسماته في الإسلام[1].

---

[1] انظر مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ٦٠.

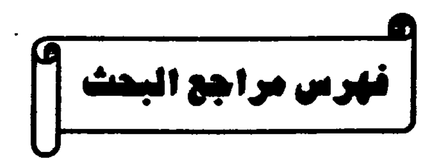
وظلت الرواية والاحتجاج بشواهد النساء مستمرة في كل العصور التأليفية من بدء حركة الجمع والتدوين والتأليف والتقعيد في الفكر الإسلامي حتى العصر الحديث، وفي كل عصور التأليف الإسلامي.

فترجم السيوطي لإشراق السوداء العروضية في البغية ٤٥٨/١، وللبنى كاتبة المستنصر في البغية ٢٦٩/٢، وهو كتاب في تراجم اللغويين والنحاة!

ولو توقفنا قليلا أمام معجم شواهد العربية الذي قام عليه المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون لرأينا دليلا يؤكد استمرار الاحتجاج بشواهد نسائية في كل العصور بموجب ما أورده من تخريجات أمام ما سجله من شواهد نسائية على مسائل العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ولتبين لنا ما يلي:

أنه استشهد بأشعار لإحدى وستين (٦١) امرأة من مجموع ١١٥٦ شاعرا بنسبة ٠,٥٤٪ أي ما يفوق النصف في المئة بقليل.
وأورد مئة وأربعة أبيات (١٠٤) في مقابل ستة آلاف ومائتين وأربعة وثلاثين بيتا ٦٢٣٤ للرجال بنسبة ١,٧٪ واحد وسبعة في المئة من مجموع الشواهد المعزوّة وعددها ٦٣٣٨ بيتا.

ومثّل الشاهد العائر غير المنسوب نسبة ٣٠٪ ثلاثين في المئة من مجموع الشواهد التي أوردها والبالغ مجموعها ٩٠١٥ شاهدا.
وبهذا يتضح أن بعضا من مزاعم الحركة النسوية حول قهر الرجل المرأة لم يقع على الأقل في تاريخ الدراسات اللغوية عند العرب بموجب ما مرّ وسبق أن أوردناه.



- الاحتجاج بالشعر في اللغة، الواقع ودلالته، للدكتور محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة سنة ١٩٨٨م.
- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الأعراب الرواة، صفحات في فلسفة اللغة وتأريخها، للدكتور عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٧٧م.
- أعمار الأعيان، لابن الجوزي، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، الخانجي، القاهرة سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- أنثوية العلم، العلم من منظور الفلسفة النسوية، لليندا جين شيفرد، ترجمة الدكتورة يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت رقم ٣٠٦ أغسطس ٢٠٠٤م.
- بحوث ومقالات في اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- تاريخ التربية الإسلامية، للدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة سنة ١٩٧٣م.
- تعليم المرأة العربية في التراث وفي المجتمعات العربية المعاصرة، للدكتورة زينب محمد فريد، مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة سنة ١٩٨٠م.
- تفسير غريب ما في الصحيحين، البخاري ومسلم، للحميدي، تحقيق الدكتورة زينب محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- الجيم، لأبي عمرو الشيباني، تحقيق إبراهيم الإبياري، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
- الحروف، للفارابي، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت سنة ١٩٦٩م.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- ديوان الأدب، للفارابي، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٩٠م.

- العربية، ليوهان فك، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٩٨٦م.
- العربية، ليوهان فك، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، دار الكتاب العربي، القاهرة سنة ١٣٧٠هـ=١٩٥١.
- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق الدكتور محمد مختار العبيدي، المجمع التونسي، ودار سحنون، تونس سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- فهارس كتاب الأصول في النحو لابن السراج، للدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الفهرست، للنديم، تحقيق رضا تجدد، دار المسيرة، بيروت سنة ١٩٨٨م.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- اللغة واختلاف الجنسين، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة سنة ١٤١٦هـ=١٩٨٦م.

- ما تلحن فيه العامة، للكسائي، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ودار الرفاعي، الرياض سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٢م.
- مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨٧م.
- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، للمديني، تحقيق عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار التراث بدون تاريخ.
- مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، الجفان والجاني، دمشق سنة ١٤١٣هـ=١٩٨٣م.
- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة سنة ١٩٨١م.
- مصطلح الحديث وأثره في الدرس اللغوي عند العرب، للدكتور شرف الدين الراجحي، المعرفة الجامعية، الإسكندرية سنة ١٩٨٥م.
- معاني القرآن، للأخفش، تحقيق الدكتورة هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٤١١هـ=١٩٩٠م.
- معجم شواهد العربية، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، لفرانتزروزنتال، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- النخل، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوى، ومحمود محمد الطناحى، دار إحياء الكتب العربية (الحلبى) القاهرة سنة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م .





الدراسة الثالثة :

إيثار الوضوح وأثره فى صياغة المصطلحات النحوية

إيثار الوضوح أو الفرار من الإبهام
مقصد من مقاصد العربية

كان حديث الجنين الذي أخرجه أبو داود في باب دية الجنين من كتاب الديات من سننه الذي يقول فيه النبي- صلى الله عليه وسلم: "أسجع الجاهلية وكهانتها"[1] = نقطة تحول كبيرة من وجهة نظرنا في تاريخ الثقافة العربية التي عانقت الإسلام حيث جنحت إلى إيثار الوضوح، وعدم الغموض والإغلاق.

وهو الأمر الذي اشتهرت به ثقافة الإسلام عموما، حيث نص المؤلفون في العقيدة والأصول وغيرهما على تلك السمة، واعتبروها واحدة من أهم ما أسهم في سرعة انتشار الدين الإسلامي، وفي إقبال الناس على قبوله.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه: الخصائص العامة للإسلام "إن الوضوح هو إحدى الخصائص العامة للإسلام، سواء فيما يتعلق بالأصول والقواعد أم بالمصادر والمنابع، أم بالأهداف والغايات، أم بالمناهج والوسائل"[2].

وهذه السمة التي بدا منها الإسلام حريصا عليها تظهر في كتابات البلاغيين العرب في محاولة تفسيرهم لنهي النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي مر بنا في هذا المفتتح، يقول الدكتور/مصطفى ناصف في مقام نهي للنبي-صلى الله عليه وسلم-عن

---

[1] سنن أبي داود ٤ / ١٩٠ حديث رقم ٤٥٦٨، ٤٥٧٤، ٤٥٧٦.

[2] الخصائص العامة للإسلام، ١٧٣

السجع الذي هو سجع الكهانة إن "الكهانة كانت تعتمد على فتنة اللغة، وفتنة اللغة هي المعنى الذي ينبثق من قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم - في إحدى روايتين : " أسجاعة كسجاعة الجاهلية ". وبعبارة أخرى كانت فتنة اللغة هدفا نفاه القرآن الكريم عن نفسه نفيا صريحا حين جعل لغته، أو لغة الوحي المنزل به بيانا وبلاغا، ومن ثم كان استعمال لفظ البيان جديدا في القرآن الكريم من هذه الناحية، ولكننا ننسى هذه الملاحظة اليسيرة، فلغة الكهانة لا تقصد إلى البيان، ولا توفر فكرة البلاغ، لغة الكهانة لا تخدم الإنسان، لغة الكهانة تسحر الإنسان عن تفطنه واستقلاله"[1]؛ ومن أجل ذلك نهى النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ذلك الرجل الأعرابي الذي بدا منه محاكاة لأسلوب الكهان في حديث الجنين الذي أشرنا إليه.

وقد حاول ديفين ستيوارت في مقالته: السجع في القرآن أن يتلمس مسوغا للنهي النبوي عن السجع فقال "وفي عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكن السجع يرتبط فقط بالكلام الفصيح بوجه عام بل بأقوال العرافين والكهان كذلك"[2].

وقد دار جزء كبير من تخريج وجه النبي في الحديث أو تفسيره على النهي عن الإغلاق والغموض والتعقيد والتحايل؛ فمحاربة الغموض من مقاصد الدين، وهو السر الحقيقي في اعتراض النبي - صلى الله عليه وسلم - على من يتكلم بسجع الكهان.

---

[1] محاضرات في مذاهب التفسير، وانظر كتابه نظرية المعنى في النقد العربي ١٥٨.

[2] السجع في القرآن، لديفين ستيوارت(إبراهيم عوض) ١٥ (محمد بريري) ١٠ وقد عبر المؤلف عن المسوغ الذي دعا إلى النهي بكلمة incomprehensible = غامض أو مبهم.

هذا الإيثار للوضوح باعتباره مقصدا مــن مقاصــد الإســلام، وخصائصه ظهر جليا في محاربة النبي - صــلى الله عليــه وســلم - وسائل الغموض والإبهام، كما ظهر جليا من غير تأويلات في الــنص الأول في ثقافتنا، وهو القرآن الكريم في أكثر من سياق حيث جاء عنــد القرطبي في تفسيره لقوله تعالى ﴿علمه البيان﴾ [سورة الرحمن ٥٥/٤]: "الإنسان : يراد به جميع الناس، فهو اسم جنس، والبيان على هذا: الكلام والفهم، وهو مما فضل به الإنسان على سائر الحيوان"[1].

وهذا الذي أجمله القرطبي أطال في توضيحه الجاحظ في مقدمة كتابه: البيان والتبيين حيث يقول: "وذكر الله تبارك وتعالى جميل بــلاءه في تعليم البيان وعظيم نعمته في تقويم اللسان فقال: ﴿الــرحمن. علــم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾ [سورة الرحمن ٥٥/١ـ٤] وقــال تعالى: ﴿هذا بيان للناس﴾ [سورة آل عمران ٣/١٣٨]، ومــدح القــرآن بالبيان والإفصاح وبحسن التفصيل والإيضاح"[2].

وعلى هذا يكون إيثار الوضوح أو الفرار من الإبهام ترجمة أو تفسيرا لمصطلح البيان الذي هو"اسم جامع لكل شئ كــشف لــك قنــاع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير؛ حتى يفضي السامع إلى حقيقتــه، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومــن أي جــنس كــان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شئ بلغت الإفهام، ولوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"[3].

---

[1] تفسير القرطبي ١٧ / ١٥٢.
[2] البيان والتبيين ١ / ٧٨.
[3] البيان والتبيين ١ / ٧٦.

ونحن نذهب إلى أن رعاية هذا المقصد كان له أثره في صياغة المصطلح النحوي في عناوين أبواب التأليف النحوية الباكرة في العربية، ولاسيما قبل سيطرة ما يمكن أن يسمى بالاعتداد بصناعة الحدود والتعاريف، والمبالغة في توظيف آليات المنطق الأرسطي في صياغة المصطلحات، وتوخي شروط صياغتها هي والتعريفات من سمات الإيجاز والاختصار وعدم النقض الخ.

ويمكن القول إن إيثار الوضوح كان معيارا حاكما له حضوره الطاغي في التقعيد النحوي بوجه عام وإن كان الأمر هنا سيقتصر على أثر هذا المعيار في بناء عنوان الباب النحوي ولاسيما في أول تأليف نحوي يصل إلينا.

وقد التفت إلى هذا المعيار عدد كبير من نحاة العربية قديما وحديثا، يقول الدكتور أحمد عبد العظيم عبد الغني في كتابه: معايير الرفض والقبول في الدرس النحوي عند عباس حسن، رحمه الله، : "مما شاع تردده في كتب النحو: البعد عن اللبس، وقد وظفه السالفون في وصف ضوابط الأبواب كي لا تلتبس بغيرها، وفي تبرير عدم اطراد القواعد العامة على بعض مسائل الأبواب وفي اشتراط قيود بعينها تخص ما يؤدي إلى اللبس ما لم توضع له أمثال تلك الضوابط الخاصة"[1].

وقد تكرر ذكر ذلك المعيار عند المعاصرين من النحاة من مثل الأستاذ عباس حسن حيث اعتمده "لانتقاء ما يراه مما ورد من آراء السالفين واستخدم له عبارات منها:

---

[1] معايير الرفض والقبول في الدرس النحوي عند عباس حسن ٢٤٧.

- البعد عن الوقوع في اللبس.
- والخلو من اللبس.
- والإبانة والوضوح والفرار من اللبس.
- والفرار من اللبس والإبهام.
- ودفع اللبس وإزالة الخفاء.
- ومنع الغموض واللبس.
- وإزالة الإبهام[1].

وقد رصد الباحث الكريم صورا كثيرة لأثر هذا المعيار في رفض الآراء النحوية أو قبولها.

ولم يظهر من صور الرفض أو القبول شئ في مجال صياغة المصطلح النحوي، أو في عنوانات الأبواب النحوية، ولم يلتفت أحد - فيما يبدو - إلى اعتماد هذا المعيار في تفسير عدد من السمات التي صبغت المصطلح النحوي في مرحلة مبكرة من مراحل التأليف النحوي عند سيبويه (المتوفى سنة ١٨٠هـ = ٧٧٧م) على وجه التحديد.

وهذا المعيار الحاكم قديم في التراث النحوي في العربية وفي تراث أصول النحو كذلك حيث جاء عند ابن السراج (٣١٦هـ = ٩٠٩م) في باب التقديم والتأخير من كتابه الأصول ـ في النحو ـ أنه من مواضع التزام الترتيب بين أجزاء الجملة كما وردت ما نصه "التقديم إذا ألبس على السامع أنه مقدم"[2].

---

[1] انظر النحو الوافي ١ / ١٠٦، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٨، ١٤٤، ١٨٤، ٢٤٧ و ٢ / ٣٦٠ و ٣ / ٣٩١ و٤ / ٢٦٧، ٢٨٢

[2] الأصول في النحو ٢ / ٢٤٥.

واستمر التصريح بذلك المعيار في تراث النحاة العرب يتناقلونه لم يخل من ذلك نوع من التأليف النحوي منثورا أو منظوما.

يقول السيوطي (٩١١هـ = ١٤٨٦م) في الهمع: "ويجب البقاء على الأصل إذا حصل لبس كأن يخفي الإعراب ولا قرينة"[١] ويقول في الأشباه "اللبس محذور ومن ثم وضع له ما يزيله إذا خيف"[٢] ومما جاء عند ابن مالك (٦٧٢هـ = ١٢٥٤م) قوله في الألفية [من الرجز]. وأخِّر المفعول إن لبس حُذِر.

ومتابعة من نص على ذلك المعيار واتخذه حاكما في بناء القواعد يصل بنا إلى حد التواتر، أو على حد تعبير ابن عقيل إن ذلك هو مذهب الجمهور[٣].

لم ينازع في هذا المعيار إلا واحد من نحاة العربية سماه التاريخ هو ابن الحاج، أحمد بن محمد الأزدي الإشبيلي، أبو العباس (٦٤٧هـ=١٢٣٠م)[٤] وهو تلميذ الشلوبين وواضح تأخره الزمني عدة قرون بعد استقرار المعيار أصلا معتمدا في كتابات النحاة إن عددنا أصول ابن السراج أول مؤلف في بابه.

---

[١] همع الهوامع ٢ / ٢٥٩.

[٢] الأشباه والنظائر في النحو ٢ / ٣١٤ وقد جعله في فصل كامل.

[٣] انظر شرح المقدمة الجزولية (٦٥٤هـ = ١٢٣٧م) ٢ / ٥٩١ وشرح الجمل لابن عصفور (٦٦٩هـ = ١٢٥١م) ١ / ١٦٣ والمقرب له ١ / ٥٣ وأوضح المسالك لابن هشام (٧٦١هـ=١٣٤١م) ٢ / ١١٩ وإرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك لابن القيم (٧٦٧هـ=١٣٤٦م) ١ / ٣١٢ وشرح ألفية ابن مالك لابن جابر (ق ٨ هـ) ٢ / ١٣١ وشرح المكودي (٨٠٧هـ=١٣٨٥م) ١ / ٢٧٤ وهمع الهوامع للسيوطي٢ / ٢٥٩ والأشباه والنظائر له٢/ ٣١٤.

[٤] انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ٦٣ ترجمة ٥٦ وبغية الوعاة ١ / ٣٥٩ ترجمة ٦٩٨.

وقد اعتمد ابن الحاج في منازعته النحاة في هذا المبدأ أو المعيار أو الأصل على أمرين هما:

أولهما : أن العرب لها غرض في الإلباس.

آخرهما : أن سيبويه لم يذكر في كتابه شيئا من هذا الغرض.

وقد نقض المرحوم الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (١٣٩٣هـ=١٩٧٣م) الدليل الأول الذي اعتمده ابن الحاج قائلا "إن العرب لا يمكن أن يكون من أغراضها الإلباس؛ إذ من شأن الإلباس أن يفهم السامع غير ما يريد المتكلم، ولم توضع اللغة إلا للإفهام"[1].

وهذا كلام صحيح يتأكد إذا كان في مجال العلم والمعرفة إذ يكون طلب تحقيق الإفهام والإيضاح آكد وأشد.

وهو الأمر الذي يؤكده المرحوم الأستاذ عباس حسن (١٣٩٨هـ=١٩٧٨م) حيث يقول "لا التفات إلى ما يقال من أن مخالفة الترتيب جائزة مع اللبس فهذا كلام لا يساير الأصول اللغوية العامة، ولا يوافق القصد من التفاهم الصريح بالكلام"[2].

أما فيما يتعلق بالدليل الثاني المتعلق بأن مرد منازعة ابن الحاج للنحاة معتمد على عدم إشارة سيبويه لهذا المعيار – فإن في كلام سيبويه ما يوحي به حيث جاء في الكتاب قوله "ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه، لأنه مستقيم ليس فيه نقض فمن ذلك قوله [من الطويل للمرار الفقعسي أو عمر بن أبي ربيعة]:

صددتَ فأطولتَ الصدود وقلما وصالٌ على طول الصدود يدوم.

---

[1] شرح الألفية لابن عقيل ١ / ٤٨٧ ح١.

[2] النحو الوافي ٢ / ٨٦ ح٢

وإنما الكلام: وقل ما يدوم الوصال"[1].

وتعبير سيبويه "لأنه مستقيم ليس فيمن نقض" هو الذي جوز احتماله مع قبحه.

وشرطا الاستقامة وعدم النقض يمكن حملهما على معنى: أمن اللبس وعدم خفاء المراد، فالعبارة واسعة، وأمثال ذلك كثير مبثوث في ثنايا الكتاب.

إننا نستطيع أن نقرر وفقا لما سبق أنه كما كان معيار الخوف من اللبس أو الفرار من الإبهام حاكما في بناء القواعد النحوية في التراث النحوي في العربية، وهو ما تظاهر على إبرازه علماء النحو وأصوله، فإنه كان حاكما كذلك في صبغ المصطلحات النحوية أو تراجم الأبواب النحوية في التأليف النحوي المبكر بعدد من السمات المائزة التفت إليها الباحثون المعاصرون، وتوقفوا عند مجرد الالتفات أو الرصد.

ومنهم من عدها مرحلة بدائية ساذجة من مراحل تكون المصطلحات النحوية، وكلا الاتجاهين أغفل تفسيرها في ضوء هذا المعيار، وهو ما يقترحه هذا البحث الذي يرى أن تراجم الأبواب النحوية أو المصطلحات النحوية في كتاب سيبويه تحديدا ــ كانت أكثر اتساقا وانسجاما مع روح الثقافة العربية التي اتسمت بالوضوح، وحرصت على البيان. وإن هذه السمة ضاعت مع الركون أو الانتصار لتطبيق آليات المنطق الأرسطي، والاحتكام لشرائطه في صناعة الحدود والتي طبقها النحاة العرب في صياغتهم المصطلح النحوي بعد القرن الرابع الهجري.

---

[1] الكتاب لسيبويه ٣١/١

- **خصائص المصطلح النحوي أو تراجم الأبواب:**

في التأليف النحوي المبكر عند سيبويه.

تراجم أبواب كتابٍ ما هي عنواناتها، وقد حظيت تراجم أبواب بعض الكتب، بقدر من الرعاية والعناية ولاسيما عند المحدثين، لدرجة أن عددا منهم أفرد تراجم بعض كتب الصحاح بالتأليف لمّا رأى فيها ما يستحق التوقف.

ولأول دلالة تظهر لنا من كلمة التراجم هي دلالة التفسير والإبانة عما في هذا الباب أو ذاك مما وضعت عنوانا له هذه الترجمة أو ذلك العنوان.

ومن هذه التآليف في هذا الميدان: تراجم البخاري لابن جماعة (٧٣٣هـ=١٣١٣م) حيث أورد ابن جماعة تراجم البخاري أو عنوانات أبواب كتابه الصحيح، واجتهد في بيان المناسبة التي بين الترجمة والأحاديث النبوية الشريفة التي وردت تحتها في هذا الباب أو ذاك.

وقد أسمت تراجم الأبواب في صحيح البخاري كلها بالطول، واستخدام أنواع متعددة من الجمل المعرفة الشارحة لمضمون الباب الدال على مراد البخاري من جمعه الأحاديث وترتيبها.

وقد حرصت على بيان ذلك الإسهام في هذا الباب من قبل علماء الحديث، وانصراف هذا الإسهام إلى صحيح البخاري (٢٥٦هـ=٨٥١م) وهو متقدم قريب جدا من عصر سيبويه؛ لأدلّ على أن ذلك كان سمتا غلب على التأليف العربي في هذه الحقبة من تاريخ العلم عند المسلمين.

ولم تكن هذه السمة المائزة حكرا على أبواب صحيح البخاري، بل اتسم بها التأليف قبله، حيث تبرز كذلك في الموطأ للإمام مالك (١٧٩هـ=٧٧٦م)[١].

وقد اتسمت تراجم أبواب كتاب سيبويه بعدد من السمات كانت هي هي السمات التي اتسمت بها مصطلحاته على أساس أن تراجم الأبواب ترادف دلالة المصطلح في الكتاب.

وأهم هذه السمات هي: (طول المصطلح)، أو إطالة تراجم الأبواب، وقد لاحظ هذه السمة كثير من الباحثين الذين درسوا الكتاب أو فهرسوا لما فيه.

من هؤلاء الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة - رحمه الله - (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م) في دراسته لأسلوب الكتاب، حيث قرر أن العناوين (التراجم) في الكتاب تتسم بالطول[٢].

وهو ما لاحظه الأستاذ علي النجدي ناصف (١٤٠٢هـ=١٩٨٢م) - رحمه الله - كذلك حيث قال: "وسيبويه في عبارة الكتاب يؤثر الانصباب والاسترسال ... ما تكاد تقرأ العنوان حتى يسلمك من حيث لا تشعر إلى الباب"[٣].

وهو ما لاحظه كذلك غير باحث من مثل الدكتور فوزي مسعود في كتابه سيبويه جامع النحوي العربي[٤].

---

[١] أنظر موسوعة علوم الحديث الشريف (مدخل تراجم الرواة والأبواب والأسانيد) ٢٥٠.

[٢] فهارس كتاب سيبويه للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ٩٦.

[٣] سيبويه إمام النحاة ١٥٩.

[٤] انظر سيبويه جامع النحو العربي٧٩.

لكن ما يهمنا هنا هو أننا نريد أن نزعم أن الركون إلى طول المصطلحات أو طول تراجم الأبواب عند سيبويه كان يهدف إلى إيثار فكرة التوضيح.

وقد التفت إلى ذلك كثير من الدارسين يقول الدكتور عبد الرحمن السيد في دراسته: مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها،: "وعندما عرض (أي سيبويه) لأضرب البدل ذكر اثنين منهما قريبا مما نعرفه من المصطلحات وعبر عن الاثنين الآخرين بما يوضحهما، قال: اعلم أن البدل في الكلام يكون على أربعة أضرب:

- فضرب من ذلك أن تبدل الاسم من الاسم إن كانا لشئ واحد .. والضرب الآخر أن تبدل بعض الشئ منه .. والضرب الثالث أن يكون المعنى محيطا بغير الأول الذي سبق الذكر لالتباسه بما بعده، فتبدل منه الثاني المقصود في الحقيقة [= البدل المباين] ... ووجه رابع لا يكون مثله في قرآن ولا شعر ولا كلام مستقيم، وإنما يأتي في لفظ الناسي أو الغالط [بدل الغلط]"[1].

وما يهمنا هنا في هذا النقل هو التفات الدكتور عبد الرحمن السيد إلى إرادة التوضيح التي أملت على سيبويه هذا الصنيع.

وتفسير هذا الطول في إطار من عدم النضج الذي لم يكن قد أتيح للمصطلحات النحوية نغمة شائعة في الدرس النحوي المعاصر يقول الدكتور عوض حمد القوزي في دراسته: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: "ما نلاحظه عند سيبويه من طول عنوانات الأبواب فذلك يمثل مرحلة تطورية غير ناضجة من حياة

---

[1] مدرسة البصرة النحوية ٣٤١ وانظر الكتاب لسيبويه ١ / ١٥٠ وما بعدها.

المصطلح يمتزج فيها مفهوم المصطلح للفكرة النحوية مع حدودها وتعريفها".

وهذا تعليل ركن إلى اليسر، ولم يذهب في تحليل أنماط المصطلح عند سيبويه من زاوية خريطة المعرفة الإسلامية، ومن زاوية نظرية المقاصد التي كانت تسعى إلى تحقيق عدد من العلامات المهمة يأتي في مقدمتها: اعتماد التوضيح والتفهيم؛ توصيلا لأمانة العلم، ومن ثم شاع في كثير من تآليف ذلك العصر المبكر نحوية وغير نحوية إطالة تراجم الأبواب أو عناوينها، تحقيقا لأغراض محددة بالإضافة إلى ما سبق ذكره، وهي:

١- تحقيق الإعلام بمضمون الباب في ترجمته أو عنوانه.
٢- تحقيق بيان المناسبة بين ترجمة الباب أو عنوانه وبين المعلومات الواردة فيه.
٣- الدلالة على مطابقة العنوان لما يرد تحته.
٤- إظهار التداخل المعرفي (تداخل الاختصاصات) الذي كان سمة غالبة على التأليف في ذلك الزمان؛ بمعنى أن المصطلح أو العنوان أو ترجمة الباب كان يتضمن في كثير من الأحيان المعلومات النحوية بجوار المعلومات الصرفية، ولاسيما إذا كانت متعلقة ببيان كيفية صياغة الكلمة، إلى جانب المعلومات البلاغية، وغير ذلك من المعارف.

ولذلك فإننا نرى أن صنيع سيبويه يكاد يقترب إلى حد ما من طريقة استخدام الحد المفهومي intensional defination[١].

[١] انظر معجم المصطلحات اللغوية للدكتور منير بعلبكي ٢٥٢

أو استخدام القول الشارح في تعبير القدماء في مقام المصطلح نفسه، بمعنى أنه يسعى إلى حد الباب النحوي عن طريق جمع خصائص مسائله التي تحدد استعماله في ترجمة الباب أو عنوانه ومن هنا فإن ما فعله سيبويه هو أنه توصل إلى نتائج أو معان صاغها في حدود مفهومية أو عبارات طويلة أو مصطلحات قابلة لبيان ما يرد تحتها من معلومات نحوية، ولا صعوبة في تداولها إذا ما نظرنا إليها من الناحية المضمونية؛ لأنها بما تحمله من مفاهيم أو مضامين أساسها استنباط سيبويه لشواهد مسائله تحت ترجمة الباب ـ تكون قد اتسمت بأكبر قدر من الوضوح والتجلية disambiguation[1].

وقد حقق سيبويه غرضه عن طريق عدد من الأشكال نجملها فيما يلي:

أ- استخدام المصطلح الجملة أو العنوان التعريف.

ب- استخدام المصطلح الكلمة المرتكز على الدلالة المركزية في البنية النحوية.

جـ- استخدام المصطلح المثال / المصطلح المعتمد على التمثيل.

ونقصد بالنموذج الأول استخدام التعريف الواصف باعتباره أنه هو المصطلح المشحون بالمفاهيم النحوية (أو التركيبية) التي يتضمنها حديثه تحت هذا العنوان / التعريف، أو ذاك، من مثل:

---

[1] انظر: سبعة أنماط من الغموض ٤٤٩.

الكتاب	عنوان الباب وملاحظاتنا / المصطلح النحوي المستقر.
١ / ٢٦	• باب ما يحتمل الشعر. وفيه دلالة على تجويز تعبيرات وحصرها في دائرة الشعر) = (مصطلح الضرورة).
١ / ٧٢	• باب ما يعمل عمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكن تمكنه. (ويلاحظ في هذا الإطار الوصفي إشارته إلى العمل النحوي + وإلى خصائص ذلك النوع من الأفعال الصرفية، مما يؤكد فكرة تكامل الرؤية أو تداخل الاختصاصات) = (فعلا التعجب والمدح).
١ / ٨٠	• باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قُدّم أو أُخّر، وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم. (ويلاحظ فيه اعتبار الموقع محورا أساسيا في بناء الجملة سواء كان شاغل هذا الموقع فعلا أو اسما مع مراعاة لفظ (مبنيا) الذي يدور معناه حول معنى العمل النحوي) = (مصطلح الاشتغال)[1].
١/ ١٥٠	• باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما عمل في الأول = (مصطلح البدل).
١ / ١٦٤	• باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه المعنى ما أردت في يفعل كان نكرة منونا.

[1] انظر: نصوص في النحو العربي للدكتور يعقوب السيد بكر ٣١ ح ١

- (ونحن واجدون في هذه الترجمة حديثا عن دلالة المشتق، وبعضا من شروط إعماله عمل الفعل) = (إعمال اسم الفاعل).

١ / ١٨٩ • باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه = (إعمال المصدر).

١ / ٢٢٨ • باب ما يكون من المصادر مفعولا فيرتفع كما ينتصب إذا شغلت الفعل به، وينتصب إذا شغلت الفعل بغيره = (المفعول المطلق).

١ / ٢٤١ • باب من الفعل سمي الفعل فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث.

(ويظهر في هذه الترجمة الإشارة إلى فوراق ما بين الفعل واسم الفعل، والإشارة إلى العمل النحوي المساوي لعمل الفعل) = (اسم الفعل الأمر).

١ / ٢٦٧ • باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الفعل. (وواضح فيه الدوران حول الشرط المركزي المميز لهذا المفعول وهو كونه عذرا أو علة لوقوع الفعل كما نلمح تحديد نوع المشتق) = (المفعول لأجله)[1].

١ / ٣٧٠ • باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال، وقع فيه الأمر فانتصب؛ لأنه موقوع فيه الأمر. = (الحال غير المشتقة).

١ / ٤٠٣ • باب ما ينتصب من الأماكن والوقت وذلك لأنها ظروف تقع فيها الأشياء، وتكون فيها.

(لاحظ دلالة النصب والمكانية والزمانية والإلحاح

[1] انظر: نصوص في النحو العربي للدكتور يعقوب السيد بكر ٤٠ ح ١

على معنى فيها) = مصطلح الظرف/أو المفعول فيه.

- ١ / ٤٢١ • باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك = التوابع.
- ٢ / ١٨ • ما يجرى عليه صفة ما كان من سببه = النعت السببي.
- ٢ / ٥٧ • باب ما ينتصب فيه الاسم لأنه لا سبيل له إلى أن يكون صفة = قطع النعت وجوبا.
- ٢ / ١٣١ • باب الحروف التي تعمل فيما بعدها عمل الفعل فيما بعده = إن وأخواتها.
- ٣ / ٨ • باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها = جوازم الفعل.
- ٣ / ٦٩ • الأسماء التي يُجازَى بها وقد تكون بمنزلة الذي. (ويلاحظ فيه الالتفات إلى ما يترتب من نتائج أو جزاء) = أدوات الشرط.
- ٣ / ٢٢٧ • باب ما كان على *مثال* مفاعل ومفاعيل (ويلاحظ فيه حصر الصيغة بالتمثيل) = (صيغة منتهى الجموع).
- ٤ / ١٤ • باب تجئ فيه الفِعلة تريد بها ضربا من الفعل=اسم الهيئة.
- ٤ / ٩٤ • باب ما عالجتَ به = اسم الآلة.

وفي هذه النماذج التي مرت ما يوحى بالاعتماد في المقام الأول على التعاريف أو الجمل واستخدامها عنوانات للأبواب أو تراجم لها، وقد ظهر كذلك اعتماده، على التمثيل.

ومن أمثلة اعتماده على الدلالة المركزية في المصطلحات التي جاءت كلمات مفردة تسميته عطف النسق باسم الشركة أو الإشراك، وهي الدلالة المحورية التي تقوم بها حروف العطف أو النسق حيث تشرك ما بعدها مع ما قبلها في الفعل والعمل أو في المعنى والإعراب[1].

ولم تختف هذه الملامح التي ميزت تراجم الأبواب في التأليف النحوي المبكر التي اتخذنا من كتاب سيبويه نموذجا عليها إلا مع ما سمي بمرحلة الاستقرار في بناء المصطلح النحوي ونضجه بعد القرن الهجري . وهي ما يمكن أن نسميها مرحلة حصد آثار الثقافة الكلامية والفلسفية التي أنتجت ثقافة صناعة الحدود والمصطلحات التي حرصت على تطبيق اشتراطات المناطقة والمتكلمين في صناعة المصطلحات أو صياغتها ووضعها من مثل: الاختصار والإيجاز وعدم النقض أو العكس إلخ.

وهي الاشتراطات التي تبنتها المصطلحية المعاصرة التي تقرر أنه "ينبغي أن يكون (المصطلح) لفظا أو تركيبا، وألا يكون عبارة طويلة تصف الشئ وتوحي به"[2].

وإيثار علم المصطلح لهذه السمة له ما يسوّغه في بنية العلم المعاصر التي تنظر إلى التراكم والحفظ.

---

[1] انظر الكتاب لسيبويه ١ / ٣٨٩.

[2] الأسس اللغوية لعلم المصطلح ١٥.

لكننا نرى أن سيبويه بما تحقق له من بعض العناصر الوصفية[1] من جانب، وبما يظهر من ارتباط النص الذي هو كتابه بوظيفة محـــددة هي خدمة النص الأوسع في ثقافتنا وهو القرآن الكريم في المقام الأول، من جانب آخر – هما العاملان اللذان وسما مصطلحاته أو تراجم أبوابه بهذا الطول، فالجزء الشكلي القائم على وصف الظاهرة، ثم إرادة خدمة النص القرآني هما المسئولان فعليا عن هذه السمة؛ ولذلك يمكن رفـــض اتهام المصطلح النحوي عند سيبويه بالسذاجة من هذا الباب.

وهذا هو الخيط الذي التقطه الدكتور محمد فكري الجزار فـــي تحليله لعنوان الكتاب الذي جعله سيبويه علما على مؤلفه يقول في كتابه: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي "يبدو أن سيبويه كان واعيا بأوليـــة التأليف الجامع لموضوعات النحو التي يضطلع بها، وكان واعيا بهـــذا القدر أو ذلك من تشابه كتاب نحوي في العربية وأولية كتاب ديني فيها كذلك"[2].

وبعيدا عن الإغراق في الاستنباط أو الإفراط في التأويل بـــين عنوان كتاب سيبويه (الكتاب) وواحد من أسماء النص العزيـــز الـــذي يرمي إلى إرادة سيبويه صنع نوع من القداسة على كتابه، مما لم تقـــم شواهد عليه ــ فإن الاحتفاء التاريخي بالكتاب يؤكد المنزلة التي احتلها الكتاب بسببٍ من إرادة خدمة النص العزيز.

---

[1] انظر النحو العربي والدرس الحديث. وكان الدكتور سعد مصلوح لخبرني أن الدكتور عبد الرحمن أيوب يرى أن سيبويه كان أقرب لعلم اللغة الحديث باتجاهه الوصفي كأثر من آثار الثقافة الهندوأوروبية التي حصلها سيبويه.

[2] العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ٢٦.

أقول بعيدا عن كل ذلك يبقى أن جزءاً من وظائف العنوان هو إرادة تحقيق الاتصال، وهو ما تؤكده بنية العلوم الإسلامية عموما كما تقدم وظهر.

غير أنه من الجدير بالذكر أن قدرا من خصوبة تراجم الأبواب في كتاب سيبويه مع طولها راجع إلى استحضار عدد من العناصر الأخرى غير النحوية بالمعنى الدقيق الذي استقر لمصطلح النحو ـ في صياغة عنوان الباب من مثل العناصر الدلالية أو المعنوية وربما البيانية والبلاغية وغيرها.

وهو الأمر الذي أشار إليه الدكتور سعيد بحيري عندما قرر في كتابه عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه أن "العنصر الدلالي لم يغب مطلقا عن وعي سيبويه"[1].

وهذا الوعي الدلالي عند سيبويه قاد الدكتور محمود سليمان ياقوت إلى الالتفات الذكي إلى جعل سيبويه معجميا[2]، وهو ما يؤكد دعوتنا لأن ننظر إلى الكتاب من زاوية كونه وسيلة لتحقيق الفهم والبيان عن طريق الكشف عن خصائص الأسلوب العربي.

أضف إلى ذلك في نهاية المطاف أن النظر إلى كتاب سيبويه في إطار قوائم كتب النحو التي انتهت إلى التعليمية من شأنه أن يقود إلى اتهام مصطلحاته أو تراجم أبوابه بالسذاجة وعدم النضج، لكننا نؤثر في النظر إليه أن نقف في صف من يرى النحو من نظارة الغاية الحقيقية التي أدركها القدماء عند ما سموا هذا العلم باسم علم العربية على ما نجد

---

[1] عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه ١٦١.

[2] انظر: التراكيب غير الصحيحة نحويا في كتاب سيبويه ٤٧٦.

مثلا له في واحد من التآليف المتقدمة وهو كتاب الواضح في علم العربية، للزبيدي الأندلسي.

هذه الغاية تتمثل في "الرغبة القوية في معرفة أسرار التركيب القرآني وهي بعد ذلك الرغبة في تعرف أهم المظاهر الإنسانية بإطلاق ... وتمييز التراكيب بعضها من البعض الآخر، ومعرفة خصائصها، واكتناه أسرارها".

ولا شك أن هذه الغاية ستحقق تبعا لتحققها المحافظة على القرآن الكريم من أن يداخله أو يتطرق إليه لحن أو فساد.

إن تقييم ما فعله سيبويه في بنائه تراجم أبواب كتاب ينبغي أن يتم ويقرأ في إطار مثيله مما صنفه المحدثون المسلمون الذين اعتنوا بتراجم أبواب كتبهم التي جمعت ورتبت وبوّبت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من جانب.

كما ينبغي أن ينظر إلى عمل الرجل على اعتبار أن كتابه "أول أثر نحوي باق يمثل جهود المرحلة الأولى (على غير ما يقول به جمهور المعاصرين) بل يمثل نضج الفهم النحوي الراشد الذي يعني بتمييز التراكيب وكشف خصائصها، وتوائمها مع ملابساتها، فسيبويه كما يقول الشاطبي في الموافقات: " وإن تكلم في النحو فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب، ونحو ذلك بل هو يبين في كل باب ما يليق حتى إنه احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعني"[1].

---

[1] النحو والدلالة ١٦ ــ ١٧ وانظر: الموافقات ٤ / ٦٠

ومن أكمل قراءة المسألة في كتاب الاجتهاد عند الشاطبي وجده يلح إلحاحا عجيبا على استخدام مصطلح العربية بديلا للنحو أو مرادفا أكثر رشدا ونضجا منه.

إن إعادة قراءة التراث النحوي المبكر في ضوء نظرية المقاصد الإسلامية كما يحددها الأصوليون نافعة في تصحيح المسار الذي انحرف من جراء الصراعات التي جلبت كثيرا من آليات علوم أجنبية أضرت كثيرا، وإن نفعت أحيانا ومقصد الإفهام منصوص عليه في تراث الأصوليين يقول الشاطبي: إن قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام[1].

وبعد فقد أظهر البحث أن قراءة التراث النحوي في ضوء التراث الإسلامي ربما يكشف عن وجوه جديدة من التأويل لها قدرة على تعديل عدد من الأحكام القارة في الدرس الحديث الذي همّش في تحليله فكرة تداخل الاختصاصات، وتكامل البنية المعرفية في التأليف العربي الإسلامي القديم.

كما حاول البحث أن يقرأ تراجم أبواب سيبويه في ضوء نظرية المقاصد الشرعية التي تتغيا في ضمن ما تتغياه تحقيق مقصد الإفهام والبيان والإيضاح.

---

[1] انظر: الموافقات ٤ / ٤٢

فهرس مراجع البحث

(أ)

- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لابن القيم، تحقيق الدكتور محمد عوض محمد السهيلي، أضواء السلف، بالرياض سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.
- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، للدكتور محمود فهمي حجازي، دار غريب بالقاهرة، بدون تاريخ.
- الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، تحقيق للدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة ببيروت، سنة ١٤٠٦هـ= ١٩٨٥م.
- الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ببيروت، سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، سنة ١٩٩٢م.

(ب)

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر بالقاهرة، سنة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزابادي، تحقيق محمد المصري، مركز المخطوطات والتراث، بالكويت، سنة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار سحنون، تونس،سنة ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

(ت)

- تراجم البخاري، لابن جماعة، تحقيق علي عبد الله الزين، دار هجر، بالقاهرة، سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٩٢م.
- التراكيب غير الصحيحة نحويا في الكتاب لسيبويه، للدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، بالإسكندرية، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٠م.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بالقاهرة، سنة ١٩٨٧م.

(خ)

- الخصائص العامة للإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، بالقاجرة، سنة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

(س)

- سبعة أنماط من الغموض، لوليم إمبسون، ترجمة صبري حسن عبد النبي، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، سنة ٢٠٠٠م.

- السجع في القرآن، لديفين ستيوارت، ترجمة الدكتور إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، بالقاهرة، سنة ١٩٩٥م.
- السجع في القرآن، لديفين ستيوارت، ترجمة الدكتور محمد بريري، مجلة فصول، القاهرة، مجلد ١٢ ع ١٣، خريف ١٩٩٣م.
- السنن، لأبي داود، دار الحديث بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- سيبويه أمام النحاة، لعلي النجدي ناصف، عالم الكتب، بالقاهرة، سنة ١٩٧٩م.
- سيبويه جامع النحو العربي، للدكتور فوزي مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

(ش)

- شرح الألفية، لابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، مصورة، عن مكتبة السعادة بالقاهرة، سنة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.
- شرح ألفية ابن مالك، لابن جابر الأندلسي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الإشبيلي، بغداد، سنة ١٩٧١م.

- شرح المقدمة الجزولية الكبير، للشلوبين، تحقيق الدكتور تركي سهو العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- شرح المكودي على ألفية ابن مالك، تحقيق الدكتورة فاطمة الراجحي، جامعة الكويت، سنة ١٩٩٣م.

(ع)

- عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، للدكتور سعيد بحيري، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٤١١هـ = ١٩٨٩م.

(ف)

- فهارس كتاب سيبويه، للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، بالقاهرة، سنة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

(ك)

- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

(م)

- محاضرات في مذاهب التفسير، للدكتور مصطفى ناصف، محاضرات غير منشورة ألقاها على طلبة الليسانس، بكلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، سنة ١٩٩١م.

- مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، للدكتور عبد الرحمن السيد، جامعة البصرة، ودار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٦٨م.
- المصطلح النحوي نشأته وتطور حتى أواخر القرن الثالث الهجري، للدكتور عوض القوزي، جامعة الرياض، سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- معايير الرفض والقبول في الدرس النحوي عند عباس حسن، للدكتور أحمد عبد العظيم عبد الغني، دار النصر، بجامعة القاهرة، سنة ١٩٩٦م.
- معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- المقرب، لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق الدكتور أحمد عبد الستار الجوالي، وعبد الله الجبوري، بغداد، سنة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.
- الموافقات، للشاطبي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ.
- موسوعة علوم الحديث الشريف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

(ن)

- النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، للدكتور عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٩١م.

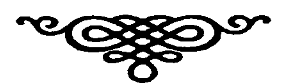
- النحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف، بالقاهرة، سنة ١٩٩٩م.
- النحو والدلالة، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.
- نصوص في النحو العربي من القرن الثاني إلى الرابع، للدكتور يعقوب السيد بكر، دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٩٧٠م.
- نظرية المعنى في النقد العري، للدكتور مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، بدون تاريخ.

(هـ)

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، بالقاهرة، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

(و)

- الواضح، للزبيدي، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة، عمان، الأردن، سنة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.
- الواضح في علم العربية، للزبيدي، تحقيق الدكتور أمين السيد، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٥م.



الدراسة الرابعـة :

وأد الهيمنة

المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية فى التراث اللغوى العربى

المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية في التراث اللغوي العربي وأثرها في التواصل الثقافي مع الثقافة المجاورة.

تمهيـــد

في فلسفة المعاجم الثنائية في التراث العربي :

استطاع اللسان العربي، من دون قهر أن يُــزيح لغاتٍ كثيــرةً، آمن أبناؤها والناطقون بها بالدين الجديد، وهو الإسلام، فــي مــواطن كثيرة في مصر وبُــلدان المغرب والشام، ومواطن أخرى غيرها.

حيث تنازلت هذه البلدان عن لغاتها القديمة، طواعية، ورضيت باللسان العربي؛ لأن شعوب هذه البلدان رأت أن اســتيعابها لمعــارف الدين الجديد، لا يتم لها من غير التحول إلى لسانه الذي نزل به كتابــه، وفُسِّرت به نصوصه، ووضّحت به تشريعاته ومعالمه.

وبقيت - في جانب آخر - بلدان أخري مستمسكة بلسانها مــع إيمانها بالدين الجديد، ولم تتحول إلي العربية، وإن استعارت منها عدداً كبيرا من ألفاظها بحكم الاتصال الثقافي بينهما.

ومن هذه البلدان فارس أو إيران أو بلاد ما وراء النهر، علــى اختلاف التسمية في مراحل التأليف الجغرافي التاريخي عند المــسلمين. وقد أثمرت هذه المنطقة الجغرافية التي احتفظت بلسانها الفارســي مــع إيمانها بالدين الإسلامي - عدداً من المعاجم الثنائية العربية الفارســية، بمعنى أن مداخل هذه المعاجم كانت بالعربية، وشروح هــذه المــداخل وبيان معاني هذه الكلمات كانت بالفارسية.

ومن هنا يتضح أن الهدف الأساسي من ظهور المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية كان هو التواصل مع أبناء ذلك اللسان الفارسي، والتفاعل معهم، ونقل مفاهيم الإسلام الذي آمنوا به إليهم، ومساعدتهم علي إدراك معاني تشريعاته، وأصول أخلاقه وآدابه، وتصور نظرته للكون والحياة من غير تعالٍ، أو تسلط، أو قهر.

والدليل علي أن الغرض من تأليف هذه المعاجم الثنائية العربية الفارسية ـ وهو موضوع هذا البحث - كان هو خدمة الثقافة الإسلامية، وإعانة من يطلب فهمها وإدراك معالمها - يكمن في أن هذه المعاجم جعلت مداخلها بالعربية؛ بمعني أن قارئاً غير عربي، لسانه الفارسية، يقرأ ويتعلم مبادئ الإسلام المكتوبة بالعربية، وهو بعد لم يصل إلى مرحلة إتقان العربية، ثم هو يطلب من وراء ذلك إدراك دلالات ما يقرؤه، فيلجأ إلى معجم مداخله عربية، وشروحها بالفارسية، لغته الأم Native language ؛ لتعينه على ما تصور ما غمض، وفهم ما استغلق عليه.

وهذه الرؤية تدل على أن العلماء المسلمين من علماء المعجم لم يروا حرمان أحد من فهم ثقافة هذا الدين، ورأوا-وهذه إحدى مبادئه-أنه ليس حكرا على فئة بعينها، لا يصح تداولها للجميع، كما يحدث في بعض الملل الأخرى.

ومن جانب آخر فإن إيصال مفاهيم الشرع، وبيان تشريعاته جزء من الواجب المنوط بهؤلاء العلماء أداؤه؛ لأن الإسلام أوجب الدعوة إليه على كل أحد من المؤمنين به، بمقتضى النص الكريم الذي يقول فيه رب العزة سبحانه: ﴿قل هذه سبيلي أدعو على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [سورة يوسف ١٢/ ١٠٨].

ومعربو القرآن الكريم يعربون ﴿من اتبعني﴾ معطوفا على فاعل أدعو[1]؛ مما يؤكد أنه لا يصح في عرف الإسلام وأحكامه، احتكار ثقافته وتشريعاته، وحصرها في صنف من الناس بأعيانهم. بل كان العلم بهذا الدين وشرعه، منتشرا مبذولا، يُدعى إليه، ويُحَض عليه، فمما تواترت به الأخبار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُلحق حفاظ القرآن الكريم بمن يستحق العطاء من بيت المال؛ لشرف ما حصَّل؛ مما يدل على قيمة مهمة وهي قدم التمويل أو الإنفاق الحكومي في تاريخ الإسلام على نشر ثقافته[2].

أضف إلى هذا أن ثمة جانباً آخر هو إيمان المعجميين من أصحاب اللسانين، أو مزدوجي اللغة، بواحد من آداب الإسلام، وهو دلالة الناس على الخير، والتيسير على عموم الخلق، شأنهم في ذلك شأن كل المنتمين إلي الإسلام؛ ومن هنا كان تحركهم نحو التأليف في المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية؛ لإعانة غير العرب على فهم الإسلام، والتواصل مع آدابه وتعاليمه، طلبا للتأقلم أو التفاعل مع الثقافة العربية الناطق الرسمي باسم الدين الجديد.

وقد تمثل ذلك التفاعل الثقافي عندما قرر الفاتحون المسلمون الأوائل اصطحاب العلماء في فتوحاتهم لتعليم الدين لأصحاب البلدان المفتوحة؛ بهدف التواصل معهم، وإيصال الحق الذي آمنوا به إليهم. وهو الأمر الذي جعل أبناء هذه الأمم تقبل على تعلم العربية، على

[1] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥٦١/٦ وإعراب القرآن الكريم، للنحاس ٣٤٧/٢
[2] انظر: تاريخ التربية الإسلامية للدكتور، أحمد شلبي ٢٧٤

اعتبار أن اللغة هي أهم رموز التواصل الثقافي، أو قل هي أهم مفتاح لتحصيل الثقافة التي تمثله.

معنى هذا أن النمو في العلاقات السياسية والعلمية والاقتصادية يستدعي نُمُوًّا بدرجة مماثلة في مجال الترجمة. والترجمة - في أهم الأسس التي تعتمد عليها - تقوم على أكتاف المعاجم الثنائية اللغة[1].

لقد قامت المعجمات لأغراض عملية، ولم تكن تطبيقا لنظرية لغوية، ويختلف الدافع لظهور المعجمات من مدنية لأخرى. والشائع الصحيح أنه قد انبعثت الصناعة المعجمية العربية في القرن السابع الميلادي لأسباب دينية[2].

هذه الحقيقة التي تؤكد أن القرآن الكريم، ودراسته، وبيان ما فيه من أصول تشريعيه باعتباره دستور الإسلام هو الباعث الحقيقي الذي أسهم في نشأة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية لخدمة المسلمين من غير أصحاب اللسان العربي، ويزيد ذلك وضوحا ويؤكد حقيقة أن دراسة القرآن الكريم كانت من دواعي جمع اللغة "كما كانت أحد الأسباب التي أسهمت في نشأة المعاجم العربية"[3] عموما.

وفي هذا يورد ابن خلدون كلاما مهما يوضح قيمة اللغة في تحصيل العلوم ولا سيما في جانب أصحاب اللسان غير العربي في فصل عقده في خاتمة المقدمة جعل عنوانه: فصل في أن العجمة إذا سبقت إلى اللسان قصَّرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن أهل اللسان العربي.

---

[1] انظر: علم اللغة وصناعة المعجم س.

[2] انظر: علم اللغة وصناعة المعجم ٤٣ ولولا القرآن ما كانت المعاجم العربية ١٨

[3] فصول في فقه اللغة ١١١

يقول: "أصبحت العلوم كلها بلغة العرب (لما اتسع ملك الملة الإسلامية) ودواوينها المسطرة بخطهم، واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية والخطية في لسانهم دون ما سواه من الألسن لدروسها وذهاب العناية بها ... فإذا كان (المتعلم) مقصرا في اللغة العربية ودلالاتها اللفظية والخطية اعتاص (أو صعب) عليه فهم المعاني منها"[1]

ثم يقول "والأعجمي المتعلم للعلم في الملة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه ومن غير خطه الذي يعرف ملكته، فلهذا يكون حجابا وهذا عام في جميع أصناف أهل اللسان الأعجمي من الفرس[2] وغيرهم.

وهذا يؤكد أن المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية في التراث العربي انبعثت لأغراض التواصل مع الأمم الأخرى، وهي هنا الأمة الفارسية، حيث سعت إلى مساعدة أبناء هذه اللغة على التعرف على ثقافة المسلمين وعلومهم المكتوبة بالعربية، ويتضح ذلك من خلال النموذج التالي الذي يذكره الدكتور علي القاسمي في كتابه: علم اللغة وصناعة المعجم، حيث يقول: "وانبثقت القوائم المزدوجة اللغة في إنكلترة لسد حاجة تربوية؛ فقد أعد المعلمون تلك القوائم بالكلمات اللاتينية (مداخل) وما يقابلها بالإنكليزية؛ لمساعدة تلامذتهم (الإنجليز) على فهم الكتب المدرسية التي كانت تدون باللاتينية"[3]

---

[1] مقدمة ابن خلدون ١٢٦٢/٣

[2] مقدمة ابن خلدون ١٢٦٣/٣

[3] علم اللغة وصناعة المعجم ٤

وواضح من هذا النموذج في التجربة الإنجليزية القديمة أنها تؤكد أن المداخل، هي المحدد الأساسي لطبيعة حاجة المتعلم. فلما كان الفارسي في النموذج محل الدراسة هنا يقرأ الإسلام وعلومه بلغة عربية، وهو يريد تمثل الدلالات تمثلا واضحا لجأ إلى معجم يشرح له معاني هذه المداخل بلغته الأم؛ لمساعدته على أن يتقدم في تحصيل المفاهيم الإسلامية التي وصلت إليه بلسان العرب، ولمساعدته كذلك في عملية تعلم العربية.

وإذا كانت الطريقة المباشرة في تعليم اللغات[1] تري في استعمال الترجمة مهما كانت عملا شائنا، وغير أخلاقي، فإننا نري هذا القول يصب في كفة الهيمنة والتسلط؛ لأنه يقهر الآخرين وهم في حاجة إلى الفهم والاستيعاب والتواصل ــ على التعلم بلغة ثانية من غير معونة أو مساعدة من لغته الأم في عملية التحصيل.

أضف إلى ذلك أن الإسلام كان حريصا على إيصال الحكمة؛ لأنه ينظر إليها على أنها ضالة يُبحَث عنها في أي مكان، وبأي لغة، وعند أي قوم، ومن ثم حرص على إعانة طالبيها، وقد تمثل ذلك وظهر فيما صنعه أصحاب المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية بتأليفهم هذه المعاجم الشاملة.

وقد أدرك هؤلاء المعجميون كما أدرك علم اللغة النفسي أن الاستعمال القويم للترجمة لا يُستغني عنه في تعلم اللغات الأجنبية، لأنه

---

[1] الطريقة المباشرة the direct approach إحدى أشكال تعلم اللغة وفق الطريقة التركيبية البنيوية تقوم على الاعتماد على اللغة الشفوية في تعليم اللغة الثانية والابتعاد عن اللغة الأم أو استخدامها أو ترجمتها في عملية التعلم. انظر: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ١٧٤ ونظريات تعلم اللغة الثانية ٧٥ ومعرفة اللغة ٢٠١.

"مهما حاولنا إبعاد تأثير اللغة الأم عن تعليم اللغة الأجنبية فإننا لا نفلح، وإذا قبلنا ما لابد منه فإننا نستطيع استخدام عناصر اللغة القومية التي يمكنها مساعدتنا في تعلم اللغة الأجنبية، ومن هذه العناصر: المفاهيم الموجودة التي تشبه المفاهيم الجديدة"[1].

إن الشئ الخطير في تعليم اللغة الأجنبية لا يكمن في استعمال اللغة القومية بل في إساءة استعمالها[2].

ومن الممكن استخدام الترجمة، ومن ثم استخدام المعاجم الثنائية لغرض التحقق من الفهم ومن أجل إرادة التحقق من فهم مفردات تعاليم الإسلام ألّف المعجميون من أصحاب اللسانين العربي والفارسي أو المزدوجي اللغة – معاجم ثنائية شاملة كاملة ذات مداخل عربية.

وإن كان سبق هذه المرحلة، مرحلة أخري اعتنت إلى حد بعيد بالموازنة بين اللغتين العربية والفارسية؛ مما يؤكد أن المعاجم الثنائية العربية الفارسية لم تظهر طفرة، وإنما كان بوادرها أو بواكيرها ماثلة في التأليف المعجمي العربي في مناحٍ شتي، مما يعكس الحاجة الملحة التي فرضتها آليات التواصل الثقافي بين الأمتين صاحبتي اللسانين المختلفين.

وقد سبق لنا أن لاحظنا أن كثيرا من المعاجم الفقهية التي عنيت بشرح مصطلحات علم الفقه كانت جاءت في أثناء شروحها للمداخل (=مصطلحات الفقه) بعدد من الشروح بالفارسية رعاية لحالة قارئيها ممن يطلبون العلوم الشرعية المكتوبة بالعربية في زمن المد الحضاري

[1] علم اللغة وصناعة المعجم ١٥٧

[2] علم اللغة وصناعة المعجم ١٥٧

للغة العربية، وكنا سمينا هذه الظاهرة هناك، بتداخل لغات الشرح[1]. أو تعدد لغات الشرح، وكنت قلت في سياق الحديث عن طريقة الشرح بالترجمة التي استخدمها بعض أصحاب المعاجم الفقهية الذين عاشوا وألفوا معاجمهم في غير الديار العربية، كالأزهري في الزاهر، وكالمطرزي في المغرب، أو النسفي في طلبة الطلبة، ربما يُقال فيه إنهم ملئوا معاجمهم بكثير من الشروح للألفاظ عبر طريقة الترجمة إلى اللغة الفارسية غالبا والتركية أحيانا_مستهدفين تيسير الأمر على طلاب العلم الذين يتكلمون لغة أخرى مع العربية أو بقصد تقريب المعنى إليهم بنقله إلى لغاتهم الأم أو الأصلية"[2]

في مفهوم التواصل الثقافي :

مصطلح التواصل الثقافي متنازع النسبة يستخدمه علم اللغة، كما يستخدمه علم الاجتماع، كما تستخدمه دراسات الحضارة والعلاقات الدولية، والإثنولوجيا / أو علم الثقافة. وقبل تحريره نود أن نذكر أن ظاهرة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية التي نعالجها في مرحلتها الكاملة هنا تظهر مدى الحضور للغة الأم في استخدام الفارسي (=الأجنبي هنا) وتأثيرها على اللغة الأجنبية التي يتعلمها، ونحن نرى ذلك نوعا من التداخل الإيجابي = positive interference .

يعين على تعلم اللغة المستهدفة target language وهي العربية في حالتنا هذه، أو قل إن تداخل اللغة الأم الفارسية وحضورها في لغة الشرح يعين على فهم المراد من المداخل العربية التي كتب بها تراث الإسلام.

[1] انظر: تراث المعاجم الفقهية في العربية ٦٦؛ ٧٧؛ ٩٧

[2] انظر: تراث المعاجم الفقهية في العربية ٢٣٤

وما يهمنا هنا هو أن نشير إلى أن ثمة اتجاها كاملا يتبناه عـدد من علماء النفس الاجتماعي، وعلم الاجتماع "قصروا دراستهم للاتصال على اللغة، والنتائج الوظيفية له. ويتفق مع هذا الاتجاه تعريف لاندبرج، ولارسن، وشراج ـ عندما ذهبوا إلى أن الاتصال؛ هو نقـل المعـاني بالرموز إذاً فالفكرة الرئيسية هنا الاشتراك في المعاني"[1].

معنى هذا أن انتقال المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهـات مـن جماعة إلى جماعة أخرى من خلال الرمـوز (= اللغـة). وهـذا هـو التعريف المشتهر للاتصال عند علماء الاجتماع على اعتبار أن التواصل هو أساس كل تفاعل اجتماعي[2].

ومعنى هذا أيضا أن المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية قامت بدور الرموز الاصطلاحية المتمثلة في صورة اللغة، وهي مـا يـسمى بالاتصال الرمزي[3] = symbolic communication

ويسمي الأمريكيون التواصل الثقافي: التثقـف مـن الخـارج acculturation على حين يقترح بعض الباحثين ترجمة ذلك المصطلح باكتساب الثقافات الأخرى وتمثلها، والمقصود من هذا المـصطلح فـي أكثر التعريفات المعتمدة هو: "العملية التي يتصل عن طريقها ثقافتـان اتصالا وثيقا، ويكون من نتيجة ذلك ازدياد التشابه بين الثقافتين"[4].

---

[1] قاموس علم الاجتماع ٧٢

[2] قاموس مصطلحات الإثنولوجيا ٧١

[3] قاموس مصطلحات الإثنولوجيا ٧٣

[4] قاموس مصطلحات الإثنولوجيا ٧٧

ونحن نرى أن التثقف من الخارج كان متبادلا بين الثقافتين؛ أعطت العربية الثقافة الفارسية وجودها الجديد عندما صدرت الإسلام إليها، ومن أجل التفاعل معه، واستثماره نشأت المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية، باعتبارها إحدى الوسائل المساعدة على القبول، وهو مصطلح ثقافي / إثنولوجي يتعلق بأخذ بعض العناصر من ثقافة ما. والقبول في حالتنا هذه acceptance جاء طوعا وتلقائيا وهو ما يسمي بالتثقف من الخارج الموجب؛ لأنه لم يفرض بواسطة الجماعة الفاتحة (= العرب المسلمون الفاتحون). ولم ينظر إليه على أنه كان قبولا عدائيا[٢].

على حين أخذت الثقافة العربية بعد تواصلها مع الثقافة الفارسية كثيرا من العناصر المرتبطة بالثقافة الإدارية والسياسية وبناء العلوم، وبعض طرائق السلوك المعيشي في المطعم والملبس وأدوات المنزل، والحرف، إلى غير ذلك.

لكننا ننظر هنا في هذه الورقة إلى الثقافة العربية بعد اصطباغها بالإسلام في تواصلها مع الثقافة الفارسية على اعتبار أنها الثقافة المانحة، وهو مفهوم متداول في العلاقات الدولية، من هذا الجانب يمكن القول إن العربية أعطت وأسهمت في التغير الثقافي في بنية المجتمع الفارسي، ومن ثم إلى أنها هي السبب الأول في نشأة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية.

وقد ترجم هذا المصطلح في معاجم المصطلحات اللغوية بمترادفات مختلفة من مثل: تثاقف، ومثاقفة، وقد عرفه الدكتور البعلبكي

---

[٢] قاموس مصطلحات الإثنولوجيا ٢٩٤

بأنه "التفاعل اللغوي والثقافي الحاصل بين لغتين متماستين، وما قد ينشأ عن ذلك من اقتراض وثنائية إلخ؛ مثلا: التفاعل بين العربية والفارسية بُعَيْد الإسلام"[1]

وهذا التمثيل الذي ذكره الدكتور رمزي البعلبكي دليل على اشتهار أمر هذا النموذج الذي ندرسه، في قضية التواصل أو التفاعل بين الثقافات.

[1] معجم المصطلحات اللغوية للبعلبكي ٢٦

في مفهوم المعجم الثنائي اللغة :

(العربي / الفارسي). Bilingual dictionary

المعجم الثنائي اللغة هو الذي مداخله أو كلماته المشروحة بلغة، وشروح هذه المداخل، وإيضاح معانيها بلغة أخرى[1].

ولاشك أن ظهور هذا النوع من المعاجم متأخر في النشأة عن المعاجم الأحادية اللغة؛ أي التي مداخلها بلغة هي نفس لغة شروح هذه المداخل، ولاشك أنها أثر من آثار الحاجة الملحة إلى الترجمة، التي هي أثر من آثار التفاعل بين ثقافتين، وأثر من آثار التواصل الثقافي بين ثقافتي لغتين هما هنا العربية (لغة المداخل) والفارسية (لغة الشرح).

ومن المهم أن نذكر أن المستخدم الذي أُلّفت من أجله هذه المعاجم الثنائية هو المسلم الفارسي لغة، غير العربي، ومن المهم كذلك أن نؤكد أن المعاجم الثنائية هذه قامت من أجل الوفاء بعدد من الوظائف تتلخص جميعا في إعانة هذا المستخدم الذي ألفت له، على استيعاب التراث الإسلامي المكتوب بالعربية، أي أنها معاجم للاستيعاب والفهم، وليست معاجم للتعبير أو التخاطب (وهو ما يفسر لنا فيما بعد إهمال المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية إلى حد كبير للضبط والتهجي!).

وهذا الذي نزعمه بدأ من نقطة اختيار لغة المداخل، يقول الدكتور علي القاسمي: "إن التمييز بين المعجم المخصص للتعبير والمعجم المخصص للفهم ينعكس في المرحلة الأولى من صناعة المعجم، وأعنى بها اختيار لغتي المتن والشرح؛ لنفرض أننا نؤلف

[1] معجم المصطلحات اللغوية للبعلبكي ٧٢ وانظر: قاموس علم اللغة الحديث ١٩ وكذلك Adictionary of linguistics and phonetics, p 37.

معجما إنكليزيا/عربيا للأمريكيين، فإذا كنا نريد منه معجما للتعبير جعلنا من الإنكليزية لغة متن (مداخل) ومن العربية لغة شرح، في حين أننا إذا قصدنا به وسيلة للفهم اتخذنا من العربية لغة المتن (أو المداخل) ومن الإنجليزية لغة الشرح"[1].

وحكمنا على هذه المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية بأنها معاجم فهم واستيعاب؛ لأنها صُنِّفت لمساعدة أبناء الثقافة الفارسية، واللسان الفارسي على فهم ثقافة الإسلام المكتوبة بالعربية، على ما ذكرنا من كلام ابن خلدون في مقدمته.

وهذا الذي نقوله تؤكده الموسوعة اللغوية التي قام على تحريرها كولنج في المدخل المتعلق بالمعجم الذي عنوانه: (*اللغة كلمات: صناعة المعاجم*) الذي كتبه كاوي Cowie، وهو أحد المتخصصين في صناعة المعجم في جامعة ليدز، حيث يقول: "لنلتفت الآن إلى القواميس (المعاجم) الثنائية اللغة المؤلفة من جزئين (يقصد المزدوجة) سيكون من المفيد هنا أن نرسم حدا آخر بين قواميس (معاجم) الفهم أو الاستيعاب؛ أي تلك التي تهدف ببساطة إلى مساعدة قراء كل اللغتين على فهم مفردات اللغة الأخرى. والقواميس (المعاجم) التخاطبية الأكثر طموحا التي تزودنا بمعلومات للكتابة والترجمة في اللغة الأجنبية في أي الاتّجاهين. ومن الصعب أن نجد في الممارسة العملية قواميس (معاجم) تخاطبية صرفة بهذا المعنى. وكما يشرح مالكولم سكي Malcolm sky وهو محرر قاموس إيطالي ثنائي آخر؛ أن هدفه في القسم الإنجليزي/الإيطالي هو = مساعدة المستخدم الإيطالي على الفهم

---

[1] علم اللغة وصناعة المعجم ٣٨

والتفسير. أما في القسم الإيطالي/الإنجليزي فإنه يسعى لمساعدة المستخدم نفسه في التعبير عن أفكاره في الإنجليزية"[1].

وبغض النظر عن حديثه المتعلق بالمعجم المتبادل أو المزدوج الاتجاه = Bidirectional dictionary

وهو المعجم المكون من قسمين متبادَلي اللغة في المداخل والشروح، كأن يكون المعجم عربيا فارسيا، ثم هو بعد فارسي عربي في الوقت نفسه، في مجلد أو كتاب واحد وهو مالا نتحدث عنه الآن = فإن ما يهمنا هو أنه لما كان المستخدم إيطاليا في نص كاوي Cowie وبدأ مالكولم سكي معجمه الثنائي في القسم الإنجليزي/الإيطالي بمداخل إنجليزية وهي ليست اللغة الأم للمستخدم الإيطالي بطبيعة الحال ـــ حدد أن هدفه هو المساعدة على الفهم والتفسير.

والأمر هنا في المعاجم الثنائية العربية الفارسية، والمستخدم فارسي يشير إلى أن الهدف أو الوظيفة التي توخت هذه المعاجم الوفاء بها هي مساعدة هذا المستخدم الفارسي على الفهم والتفسير والاستيعاب، لما يمكن أن يسمى التراث العربي المكتوب الذي كان يتداول في المجتمعات الفارسية بعد تحوله وانتمائه للإسلام.

إن ملخص المسألة يكمن في النص التالي الذي نبرزه من كلام كاوي عندما يقول: "إن المعاجم الثنائية اللغة تهدف ببساطة إلى مساعدة القراء على الفهم والاستيعاب".

المعاجم الثنائية العربية/الفارسية الشاملة في التراث المعجمي العربي حتى القرن السادس الهجري.

---

[1] الموسوعة اللغوية (اللغة كلمات: صناعة المعاجم) ٣/٦٨٠

- **البدايات الناقصة :**

أشرنا من قبل في فقرة سابقة إلى أن كثيرا من المعاجم العربية، ولاسيما في قسم المعاجم المتخصصة في جانبها الفقهي – عرفت ظاهرة سميناها بتداخل لغات الشرح، أو تعدد لغات الشرح، وكان الهدف منها مساعدة طلاب العلم أو اللغة الشرعية على فهم الألفاظ، وتقريب تمثلها، وتصورها، فتشرح له بلغته الأم، تقريبا لأفهامهم، وضبطا لصحة تصوراتهم.

كما عرفت المعاجم العربية الموضوعية هذه الظاهرة منذ وقت مبكر من عمر التأليف المعجمي عند العرب، ويكفى هنا أن نقف أمام نموذجين اثنين يمثلان هذه الظاهرة، قبل التعرض للمعاجم الثنائية العربية الفارسية الشاملة أو الكاملة.

وهذان النموذجان المبكران هما:

أ – مبادئ اللغة، للإسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ.
ب– فقه اللغة وسر العربية للثعالبي المتوفى سنة ٤٩٢هـ.

(أ) مبادئ اللغة، للإسكافي المتوفى سنة٤٢١هـ :

وألفاظ هذا المعجم مرتبة على الموضوعات، وقد كانت لحياة الإسكافي في أصبهان – وهي منطقة لحضور الثقافة الفارسية – أثرها في لغة الشرح في معجمه حيث كان كثيرا ما يشرح بعض المداخل وهي عربية باللغة الفارسية، مع أن معجمه أحادي اللغة في الأساس، أي عربي/عربي.

ومن هنا يتضح لنا إرادته خدمة القارئ الفارسي، وقد لاحظ ذلك آخر ناشر للكتاب، حيث يقول: "ولهذا الكتاب خصائص تميزه، ويكاد ينفرد بها، تتلخص في الإيجاز ... وظهر أمر غريب في تفسيره للألفاظ؛ وهو: تفسير اللفظ العربي بمرادفه الفارسي؛ مما يشعرنا أنه كان يؤلف كتابه لجماعة تغلب عليها الفارسية إن لم يكونوا فرسا خالصين؛ لذلك راعى الإيجاز، وقلة الشواهد"[1].

وقد رتب هذا المعجم ألفاظه وفق الموضوعات بادئا بباب في ذكر السماء والكواكب (٥٢) ثم بباب أسماء البروج والأزمنة والأوقات (٥٨) وباب الليل والنهار (٦٢) وباب صفة الحر والبرد (٦٥) وباب الرياح (٦٧) وباب أسماء الرعد والبرق (٧١) وباب المياه وأوصافها وذكر أماكنها (٧٣) وباب الجبال وما يتصل بها (٨٠) وباب الكسوة (٩٧) وباب البسط والفرش ونحوهما (١٠٥) وباب الحلي والجواهر (١١٢) وباب الأواني (١١٥) وباب السراج (١٢٠) وباب أحوال النار وذكر أدواتها (١٢٢) وباب الخبز وآلاته (١٢٦) وباب الطبخ (١٢٨) وباب آخر في الطعام (١٣٣) وباب آخر منه (١٣٥) وباب أسامٍ للطبيخ تستعملها العرب، ومجاوروها (١٣٨) وباب الألبان (١٤٣) وباب الشرب (١٤٥) وباب وصف اليد إذا باشرت ما يعلق بها (١٤٩) وباب آلات البيت (١٥٠) وباب الأدوات (١٥٢) وباب آلات الكتّاب (١٥٩) وباب السلاح والجُنّة (أي ما يتخذ للحماية من دروع وغيرها) (١٦٣) وباب شوارد من السلاح وما يدخل في بابه (١٧٩) وكتاب الخيل وأسماء أعضائها وألوانها وشياتها وعيوبها وسائر صفاتها (١٨٧) وباب ألوان الخيل (١٩٦) باب الشيات والأوضاح (٢٠٠) وباب البلَق (٢٠٣)

---

[1] مبادئ اللغة (مقدمة المحقق) ٨

وباب التحجيل (٢٠٤) وباب السوابق من الخيل (٢٠٦) وباب وصف الفحول والإناث وأصواتها في النتاج (٢٠٨) وباب في عيوب الخيل (٢١٠) وباب العيوب التي تكون خلقة في الخيل (٢١٢) وباب العيوب الحادثة (٢١٥) وباب وصف قيام الخيل (٢١٧) وباب أصواتها (٢١٨) وباب مشيها وحُضرها (أي جريها) (٢١٩) وباب ما يستحب من خلق الخيل (٢٢١) وباب الإبل (٢٢٣) وباب البقر (٢٢٥) وباب الماعز (٢٢٦) وباب السباع (٢٢٩) وباب الأحناش والهوام وما أشبهها (٢٣٥) وباب ضروب من الحيوان المختلفة ذكرناها بعدما مضت أبوابها (٢٤٣) وباب الطير (٢٤٥) وباب آخر في النعام ووصف جناح الطائر (٢٥٣) وباب في المكني والمبني (٢٥٥) وباب أدوات الزرع وأحواله (٢٥٧) وباب الشجر والنبات (٢٦٣) وباب ضرب من النبات وصغار الشجر (٢٧٠) وباب البقول ونحوها (٢٧٣) وباب الرياحين (٢٧٥) وباب أسماء الصنّاعين وأهل الأسواق (٢٧٦) وباب آخر من نحو ذلك (٢٨٠) وباب في أوصاف العلل وأسمائها (٢٨٣) وباب في نوادر مختلفة.

وقد نقل الإسكافي كثيرا من مادة معجمه من اللغويين السابقين من مثل: الأصمعي (٢٥٤) وابن الأعرابي (٣٩١) وأبو حاتم السجستاني (٢٤٦) والخليل (٢٤٦) ويونس (٣٠٠).

وقد صرح في بعض الأحيان بذكر بعض المؤلفات التي اعتمدها من مثل: كتاب اللغات ليونس، والنوادر لابن الأعرابي.

أما شواهده فقد استشهد بآيات من القرآن الكريم فيما يقرب من عشرة مواضع في مثل: ٨٦؛ ٩٥؛ ١٠٥؛١١٥؛ ٢٥٨؛ ٢٧٠.

ومثل هذه الشواهد القرآنية جاءت شواهد حديثية في مثل: ٥٢؛ ٩٥؛ ١٠٠؛ ١٠١؛ ١٠٩؛ ١٢١؛ ١٣٩؛ ٢٦٦.

كما استشهد بعدد من أبيات الشعر القديم الجاهلي والإسلامي لكثير من الشعراء الذين يحتج بشعرهم من أمثال: ابن أحمر (١٩١) والأخطل (٢٨٠) والأعشى ميمون بن قيس (١٠٢) ومن الأعشين الآخرين؛ أعشى باهلة وأعشى همدان (٩١؛١٦٨) وامرؤ القيس (٩٣) وأمية بن أبي الصلت (١٢٧) وأوس بن حجر (١٧٤) وجرير (٩٠) وحسان بن ثابت (١١٧) وأبي دوار الإيادي (١٥٤) وأبي ذؤيب الهذلي (٨٨) وذي الرمة (٨٨) والراعي النميري (١٥٣) ورؤبة (١٧٢) والشماخ (١٥٢) والشنفري (١٦٦) وكثير (٢٣٣) وكعب بن زهير (٢٣٨) ولبيد (٨٩) وغيرهم.

كما استشهد بعدد من الأمثال العربية في مثل: (٢٤٧).

ومن الأمثلة الكثيرة على الشروح الفارسية لعدد من المداخل العربية في هذا المعجم التي كتبها مؤلف المعجم خدمة للقارئ الفارسي ما يلي:

- قوله في بيان أسماء أجزاء الباب: "المقعم ما يضم أعلى جانبي الباب وهو اللوح المعروض بينهما، يسمي بالفارسية: كفشيز"[1].
- ومن ذلك قوله: "قيل باب مضلّع، ومخلّل، وهو بالفارسية: برسوين"[2].

[1] مبادئ اللغة ٩٣

[2] مبادئ اللغة ٩٥

- ومن ذلك أيضا قوله في باب الحيوان: "عناق الأرض: سياق كوش"[1].
- ومن ذلك أيضا تفسيره للعنجوس وهو ما يفسد المزارع ويخلخل مساذ الماء، بالفارسية: وارسوه"[2].
- ويقول في الزاغ الدسي وهو الغراب إنه: كلاجه"[3].
- ومن ذلك: "الأحمر من الخيل: السمند"[4].
- ومن ذلك: "المجذوم: كُل بالفارسية"[5].
- ومن ذلك أيضا قوله: "البوه: الأحمق؛ بوف بالفارسية"[6].

وهناك أمثلة كثيرة جدًا يمكن معها أن نصنف مبادئ اللغة تحت قسم المعاجم الثنائية العربية الفارسية الناقصة بجوار كونه معجما موضوعيا في المقام الأول[7].

---

[1] مبادئ اللغة ٢٣٢ وشتاينجس ٧١٤

[2] مبادئ اللغة ٢٤١

[3] مبادئ اللغة ٢٤٨ وشتاينجس ١٠٤٠

[4] مبادئ اللغة ١٩٨

[5] مبادئ اللغة ٢٨٤، ٤٨٨

[6] مبادئ اللغة ٢٤٨ وشتاينجس ٢٠٧

[7] انظر: مبادئ اللغة (الرخمة = هماه) ٢٤٧ و (الزرافة = اشتركاملنك) ٢٤٨ و (الكروان = بزاقيه) ٢٥٠ و (الجريد = الجوخان) ٢٥٩ و (الخلفة، نوع من الخشب = فركار) ٢٦١ و (القطب = ترم) ٢٦٢ و (الغرب، شجرة = بذيه) ٢٢ و (الخيار = خياروالنك) ٢٧٣ و (الصفصاف = ويذلستر) ٢٦٧ و (المذاد = وهنك) ٢٨١ و (الكماه) ٢٧٥

وانظر كذلك: ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٨.

(ب) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ :

فقه اللغة وسر العربية معجم من المعاجم الموضوعية المختصرة المستوعبة، ومؤلفه أبو منصور الثعالبي عاش طيلة حياته تقريبا في نيسابور، وهي إحدى الحواضر الفارسية.

وقد ذكر في معجمه هذا أنه كان يحاضر في اللغات يقول: "فصل فيما حاضرت به مما نسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية"[1].

وقد أفرد الثعالبي الباب التاسع والعشرين للحديث عن الموازنة بين العربية والفارسية، في مجال الثروة اللفظية، أو المعجم، فيما يمكن أن يسمى ببواكير المنهج التقابلي في الدرس المعجمي في التراث العربي.

وفي هذا الباب برزت فكرة التثقف من الخارج الموجب أو التواصل الثقافي غير العدائي؛ حيث استطاعت العربية أن تؤثر في الفارسية على الأقل في مجال الألفاظ أو المعجم، وهو محور هذا البحث.

كما استطاعت الفارسية أن تؤثر في العربية في المجال نفسه، عبر فترات زمنية ممتدة.

وقد جاء هذا الباب في خمسة فصول كما يلي:

فصل في سياقة أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة ٥٢٢/٢ .

---

[1] فقه اللغة وسر العربية ٥٣٠/٢

١- فصل يناسبه في أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها ٥٢٤/٢ .

٢- فصل في ذكر أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس علي لفظ واحد ٥٢٥/٢ .

٣- فصل في سياقة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي ٢ / ٥٢٦

٤- فصل فيما حاضرت به مما نسبه بعض الأئمة إلي اللغة الرومية ٢ / ٥٣٠

ومن استعراض عنوانات هذه الفصول نلاحظ أن الفارسية سبقت وأثرت في المعجم العربي بالنظر إلى الوزن الحضاري للأمة الفارسية قبل الإسلام أو في الجاهلية، وهذا الذي نقوله هو ترجمة الجملة الخطيرة التي قالها الثعالبي في عنوان الفصل الرابع من هذا الباب الذي عقده للموازنة بين العربية والفارسية، حيث قال: "فصل في سياقة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها، أو تركها كما هي".

فجملة "اضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي" تعكس مدي الحاجة التي ألجأت العرب إلى نقل الألفاظ الفارسية إلى المعجم العربي.

ومراجعة مجموعات قوائم الألفاظ التي نقلها العرب من اللسان الفارسي تظهر لنا أنها ألفاظ حضارية، مما يغطي جوانب الحياة الإنسانية المختلفة.

وإذا نظرنا إلى الحضارة على أنها الشكل الخارجي، أو المادي للثقافة أو الفكر، أو على أنها التطبيق التقني للأفكار[1] - فسوف نلاحظ أن الألفاظ التي نقلها العرب من الفرس تتوزع على كثير من جوانب الحياة في صورها الحضارية من مثل:

ألفاظ الأواني : (٢/٥٢٦) كالكوز، والإبريق، والطست، والخوان، والطبق .

وألفاظ الملابس : (٢/٥٢٦) كالسَّمّور (جبة سوداء من وبر)، والقاقمّ (الفِرَاء)، والديباج .

وألفاظ الحُليّ والجواهر : (٢/٥٢٧) كالياقوت، والفيروزج .

وألفاظ الأطعمة : من الخبز والطبيخ والحلاوات والأشربة والأفاويه والتوابل .

وألفاظ الزهور والرياحين : (٢/٥٢٩) كالنرجس، والبنفسج والنسرين، والسوسن والياسمين، والجلنار.

وألفاظ الطيب والعطور : (٢/٥٢٩) كالمسك، والعنبر، والكافور، والصندل.

وهذه القوائم من الألفاظ المنتمية للمجالات الحضارية الشاملة للحياة الإنسانية التي نقلها العرب من الفرس، نظرا للوضع الحضاري المتفوق للحضارة الفارسية في هذه الحقبة التاريخية القديمة، تعكس التفات الثعالبي المبكر إلى أثر ظاهرة التواصل الثقافي، أو التثقف الموجب من الخارج، وأن التفوق الحضاري هو العامل المؤثر فيه.

[1] قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفلكلور ١٧٩ والحضارة ٥٦

ويؤكد ذلك أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة عندما أخرج معجم ألفاظ الحضارة الحديثة ضمنه ما يلي:

أ- ألفاظ الثياب، وما يتعلق بها (٣)
ب- ألفاظ المأكولات (١١)
ج- ألفاظ المنزل والأدوات المنزلية (١٥)
د- ألفاظ الأماكن، وما يتعلق بها (٣٣)
ه- ألفاظ المكتب، وأدواته (٣٩)
و- ألفاظ المركبات والعربات، وما يتعلق بها (٤٥)
ز- ألفاظ الحرف والصناعات، والمواد المستخدمة فيها (٥١)

إلى غير ذلك من ألفاظ الحضارة الحديثة.

وقد ذابت الحضارة الفارسية في حضارة الإسلام، وتلاشت فيها في مرحلة تالية لظهور الإسلام، وهو ما يسميه الدكتور حسين مؤنس بتوارث الحضارات. أما التأثير العربي في الثقافة الفارسية فنشأ بعد نزول القرآن الكريم واستقرار حضارة الإسلام، فمن هذا التاريخ بدأ هذا الدور المؤثر للسان العربي كمظهر من مظاهر التثقيف الموجب من الخارج الذي قام بعبئه اللسان العربي على اعتبار أن اللغة هي أداة التواصل الثقافي.

وقد انتبه الثعالبي إلى هذا البعد مثلما انتبه في عبارته السابقة التي لخص فيها ما يمكن أن نسميه قانون الاضطرار الحضاري الذي حمل العرب على نقل أجزاء من ثقافة الفرس في بعض الجوانب الحضارية.

يقول الثعالبي في الفصل الثاني من الباب نفسه: "فصل في أسماءٍ يتعذر وجود فارسية أكثرها".

وبتأمل هذه الألفاظ نجد أنها من ألفاظ الشرع التي اصطُلح على تسميتها، بالألفاظ الإسلامية؛ من مثل: الزكاة، والحج، والمسلم، والمؤمن، والكافر، والمنافق، والفاسق، والإقامة، والتيمم، والمتعة، والطلاق، والظهار، والإيلاء، والقبلة[1].

وقد كان الثعالبي في الفصل الأول من هذا الباب نفسه الذي عنوانه: "فصل في سياقة أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة" استشعر أن ثمة ألفاظ لها خصوصية؛ من كونها مرتبطة بالثقافة الإسلامية، المنبثقة من عقيدته وشرائعه؛ من مثل: الحلال، والحرام، والبركة، والوسوسة، والنصيحة.

وهي ألفاظ، وإن كانت عامة يمكن أن تتوارد معانيها في اللغات المختلفة بحكم درجات الترقي الأخلاقي والاجتماعي في المجتمعات المختلفة إلا أنها صارت ألصق بالخطاب الأخلاقي والاجتماعي عند المسلمين من دون غيرهم.

وبقيت هذه الألفاظ، واستمرت في عمق الثقافة الفارسية ومعجمها الذي اصطبغ بالإسلام في مرحلة من مراحل استثمار التواصل الثقافي.

ومن هنا لا يتصور أحد تلاشيها؛ لأنها بنت ثقافة هي الإسلام، والأساس الذي قامت عليه هو: "العقيدة وهي لا تزال تتجدد، وتتعاقب على حمل رايتها الأجيالُ، وأداتها هي اللغة العربية؛ لغة القرآن،

---

[1] فقه اللغة وسر العربية ٢/٥٢٤

وبفضله عاشت، وقدر لها أن تنجو من الضياع، وبفضل الإسلام والعربية ظلت حضارة الإسلام حية، لأن العقيدة لا تبلي مادام هناك من يؤمنون بها، وما دامت العقيدة حية في عالم الإسلام، واللغة العربية حية؛ أي أن عنصري الحضارة الإسلامية الأساسيين باقيان"[1].

مرحلة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية الشاملة :

عرف التاريخ المعجمي ظاهرة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية، بهدف خدمة ثقافة الإسلام المكتوبة، وإعانة المستخدمين المسلمين من غير العرب لغةً على فهم هذه الثقافة، واستيعاب مفرداتها.

وقد ظهرت في شكلين هما:

الأول : المعاجم الثنائية غير الشاملة ذات المداخل العربية، أي تلك التي اهتمت بجانب محدد من الألفاظ اللغوية، جمعتها، ورتبتها وشرحتها.

الثاني: المعاجم الثنائية الشاملة ذات المداخل العربية، وهي المعاجم التي جمعت الألفاظ اللغوية في جوانب الحياة المختلفة التي تمثلها اللغة ورتبتها وشرحتها بالفارسية.

وسنقف في هذا البحث عند المعاجم الثنائية الشاملة؛ لأنها أصدق في تمثيل ظاهرة التثقف من الخارج الموجب الذي مارسته الثقافة الإسلامية؛ ولأنها كذلك لم تقف عند حدود هدف إعانة الفارسي المسلم على تعلم اللغة العربية، كما استهدفت المعاجم الثنائية غير الشاملة ذات المداخل العربية.

[1] الحضارة للدكتور حسين مؤنس ٢٨١

وإنما خرجت واستهدفت تحقيق أهداف أكبر من ذلك يمكن إجمالها في هدف إعانة مستخدمها على فهم الثقافة الإسلامية، واستيعابها فيما هو مدوّن مقروء.

ويندرج تحت هذا القسم معجمان ثنائيان شاملان ذوا مداخل عربية هما:

١- السامي في الأسامي، للميداني ٥٣١ هـ.
٢- مقدمة الأدب، للزمخشري ٥٣٨ هـ.

والاكتفاء بهذين المعجمين له ما يبرره من وجهة نظر البحث؛ إذ يرى البحث أن يتوقف عند حدود نهاية القرن السابع الهجري، أو على وجه التحديد على أعتاب الاجتياح المغولي أو التتاري لديار المسلمين الذي أدّى إلى اجتياح بغداد وسقوطها، السقوط المروع، وهي يومئذ عاصمة الخلافة الإسلامية وذلك سنة ٦٥٦ هـ، لأن الثقافة العربية أشغلت بعد هذا التاريخ بما يمكن أن يسمى:

بالتجميع والمقاومة، وعانى اللسان العربي من أزمات خانقة إلى اليوم.

(١) السامي في الأسامي، للميداني المتوفى سنة ٥٣١ هـ:

كتاب السامي في الأسامي، للميداني النيسابوري[١]، أحمد بن محمد أبي الفضل - معجم ثنائي ذو مداخل عربية وقد نشره الدكتور محمد موسى هنداوي الذي كان أستاذا للغات الشرقية بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٦٧م.

---

[١] انظر: بلدان الخلافة الشرقية ٤٢٤

وقد جاء هذا المعجم في أربعة أقسام، كما يلي:

القسم الأول، في خمسة أبواب:

القسم الثاني، في الحيوانات، سبعة وعشرون بابا:

(وهذه الأربعة الأبواب الأخيرة خرجت عن شرط المعجم الثنائي حيث جاءت أحادية؛ بمعنى أن لغة المداخل كانت هي العربية، ولغة الشرح كانت هي العربية كذلك) .

القسم الثالث - في الآثار العلوية، وفيه خمسة أبواب :

٣- في ذكر السماء والنجوم (وفيه تسعة فصول) ٣٤٤
٤- في ذكر الأوقات، (وفيه أربعة فصول) ٣٥٢
٥- في ذكر الشهور والسنين (وفيه تسعة فصول) ٣٥٨

القسم الرابع - في الآثار السفلية وتوابعها، وفيه ستة أبواب:

١- في ذكر الأرض وصفاتها، (وفيه خمسة فصول) ٣٦٧
٢- في الجبال (وفيه أربعة فصول) ٣٧٣
٣- في ذكر المياه وما يتصل بها (وفيه ثمانية فصول) ٣٧٩
٤- في النبات وما يضاف إليه (وفيه ثمانية فصول) ٣٩٠
٥- في الأشجار المثمرة وغير المثمرة (وفيه تسعة فصول) ٤٠٢
٦- في الأمكنة والأبنية (وفيه تسعة فصول) ٤١١

وقد كان الميداني افتتح معجمه بمقدمة بيّن فيها بعض هدفه من المعجم، وبيّن أقسامه، مفسرًا تخلية معجمه وتفريغه من الشواهد، بطلب الاختصار، وصغر حجم الكتاب، يقول: "وأعرضت عن الاستشهاد بالأشعار المشهورة، واقتصرتُ على ذكر اللغة المأثورة وتركت الجموع الجارية على سنن القياس؛ ليصغر حجمه في أعين الناس"[1].

وقد ذكر في مقدمة معجمه هذا بعضا مما يجب أن يذكر في مقدمات المعاجم مما ينص عليه علماء صناعة المعجم، حيث صنع فصلا للجموع القياسية، حتى يوفر على نفسه ذكرها في المواضع التي تتطلب ذكر جموع الألفاظ، وهذا وعي طيب بطبيعة الصناعة المعجمية، وامتداد لما عليه الأمر في التأليف المعجمي الأحادي عند العرب.

---

[1] السامي في الأسامي (المقدمة) ٥

ومراجعة فهرس الأقسام والأبواب، وما فيه من ابتداء بقسم الشرعيات، وما يناسبها يدل على أن الهدف أو الوظيفة الأساسية التي توخاها هذا المعجم هي إعانة المسلم الفارسي على فهم نصوص الشريعة، واستيعابها في المقام الأول.

فقد تضمن القسم الأول، وهو قسم الشرعيات، وما يناسبها على الأبواب التالية:

١- في الأسماء المطلقة على الله تعالى، ومن أمثلة ما جاء فيه:

ص ١٥ "(الله والإله): خذاي سزائي برستش". = وهي عند شتاينجس (٤٥٠) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: god = (الله).

ص ١٥ "(الرحمن): بخشاينده". = وهي عند شتاينجس (١٥٩) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: merciful = (الرحمن).

ص ١٥ "(الطاهر): پاك". = وهي عند شتاينجس (٢٣١) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: pure = (الطاهر/ النقي).

ص ١٧ "(العليم والعالم والعلاّم): دانا". = وهي عند شتاينجس (٥٠٠) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: learned, the name of God.

ص ١٩ "(الحميد والمحمود): ستوزه". = وهي عند شتاينجس بالدال situda وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: to glorify God.

ص ٣١ "(الفرد والوتر): يكَانه". = وهي عند شتاينجس (١٥٨٤) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: one = (الواحد).

٢- في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وغيره. ومن أمثلة ما جاء من ذلك:

ص ٢٣ "(الرسالة): بيغام". - وهي عند شتاينجس (٢٦٨) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: a message - (الرسالة).

ص ٢٣ "(النذارة): بيم". - وهي عند شتاينجس (٢٢٤) وقد ترجمها إلى الإنجليزية بكلمة: fear - (الخوف والرهبة أو التخوف).

٣- في كتب الله المنزلة وما يناسبها.

٤- في شرائع الإسلام .

وقد تحدث في فصول هذا الباب عن ألفاظ الإيمان والإسلام والصلاة والصيام والحج والجهاد، كما تحدث عن سائر ألفاظ الملل الأخرى من نصرانية، ويهودية، وكفر، وأصنام.

وقد عرضتُ في بعض ما نقلته من ألفاظ هذا القسم الخاص بالألفاظ الشرعية ــ الألفاظ الفارسية التي جاءت عند الميداني بما جاء في معجم شتاينجس الثنائي الفارسي الإنجليزي، لنؤكد بروز الهدف الذي من أجله ألف هذا المعجم الثنائي ذي المداخل العربية المتمثل في خدمة هدف محدد هو فهم الإسلام، واستيعاب أصوله وتشريعاته.

ولنؤكد كذلك أن الميداني توخي استخدام الفارسية الأدبية (الفصحى) في شروح المداخل، والابتعاد عن اللهجات ليتأكد أن الهدف ليس هو المساعدة على التعبير أو المخاطبة، وإنما القصد مساعدة غير العربي على فهم دلالات الألفاظ العربية وتصورها عندما تعرض له في أثناء تعلمه للإسلام، وقراءته نصوصه المكتوبة.

وقد ظهر في خاتمة هذا المعجم في الفصل الذي جعله الميداني ملحقا له ــ الهدف من صناعة هذا المعجم الثنائي يقول: "وقد جمعت في كتابي هذا بعض ما يدعو إليه مس الحاجة، وصنت ترجمته ما استطعت عن وصمة البشاعة والسماجة، وبسطت الكلام فيه على صغر حجمه ورجعت أن يُهتدى للتعلم بضوء نجمه"[1].

فرجاء الاهتداء بهذا المعجم إلى عملية التعلم هو ما ألححنا عليه في بيان قيمة المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية وهذا أول نموذج لها في عملية التثقف من الخارج الموجب غير العدائي التي أحدثتها العربية في الثقافة الفارسية في مرحلة المد الحضاري للثقافة الإسلامية، التي حملت لواءها اللغة العربية.

(٣) مقدمة الأدب، للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ:

هذا معجم ثنائي ذو مداخل عربية كذلك، ألفه الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وقد حقق هذا المعجم جزءا من متطلبات درجة الماجستير الأستاذ محمد فوزي علي بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٩٨م، وخوارزم قرية كبيرة من حواضر اللسان الفارسي[2].

وعرض له بالدراسة المعجمية الدكتور أحمد مختار عمر باعتباره استخدم منهج الأبنية في بعض الأقسام في كتابه: معاجم الأبنية في اللغة العربية[3]، ولم يلتفت إلى أنه معجم ثنائي، ولم يشر إلى ذلك، مع

[1] السامي في الأسامي ٤٢٤
[2] انظر: بلدان الخلافة الشرقية ٤٨٩
[3] انظر: معاجم الأبنية في اللغة العربية ١٩٥

أنه عرف تاج المصادر لأبي جعفر أحمد بن علي المقري البيهقي، المعروف ببو جعفرك[1].

كما لم يلتفت الدكتور حسن نصار إلى ذلك في أثناء حديثه عنه في دراسته الرائدة: المعجم العربي تاريخه وتطوره ولم يشر أيضا إلى ذلك[2].

وقد حصر المحقق هدف الزمخشري من تأليفه هذا المعجم في الهدف التعليمي للغة فقط، وهو ما لا نوافقه عليه إلا من باب واسع باعتبار خدمة القارئ المسلم الفارسي على تمثل دلالات ما يقرؤه في رحلة طلبه فهمَ تعاليم الإسلام هدفا تعليميا عاما؛ لأننا قلنا إن هدف المعاجم الثنائية ذات المداخل العربية يكمن في تقديم المساعدة للمستخدم ذي اللسان غير العربي على الفهم والاستيعاب؛ ومن أجل ذلك أيضا لا نوافق من ينقد الزمخشري في مسألة "عدم التنبيه على ضبط حروف الألفاظ، وما فيها من إهمال وإعجام، أو تخفيف وتشديد"[3]؛ لأن هدف المؤلف ليس خدمة المستخدم الفارسي المشغول بقضية التعبير والمحادثة، ولو أراد ذلك لجعل مداخل معجمه بالفارسية، ولغة شرحه لهذه المداخل بالعربية!

ومن المهم كذلك أن نقف قليلا أمام كلمة الأدب التي وردت في عنوان معجم الزمخشري، وننبه على أنه لا يصح حملها على المعنى الخاص للأدب المعهود للناس اليوم وإنما ينبغي حمله على المعني

---

[1] انظر: معاجم الأبنية العربية ١٨٥

[2] انظر: المعجم العربي تاريخه وتطوره ١٦٣

[3] مقدمة الأدب، للزمخشري ٣٧/١

الواسع الذي يشمل جوانب الثقافة المختلفة اللازم تحصيلها، أو على حد التعبير القديم الذي يرى فيه الأخذ من كل فن بطرف[1].

وبهذه النظرة إلي مفهوم هذا المصطلح يمكن أن نفهم هذه الأقسام التي ضمها هذا المعجم الثنائي، وكأنه بمعجمه هذا أن يكون مقدمة للثقافة العربية التي ينبغي للمسلم الفارسي أن يحصلها؛ ليتواصل مع الكتابات العربية.

وقد جاء المعجم في خمسة أقسام كما يلي:

١- قسم الأسماء، وفيه:

باب للأوقات، وباب للعلويات، وباب للسفليات، وباب للمعادن والأحجار الكريمة، وباب للطرق، وباب للمياه، وباب للنبات والزروع، (وجاء تحته: فصل للزهور والرياحين، وفصل للبقول والخضر، وفصل للكلأ والحشيش) وباب للضِّياع (وتحته فصول: فصل للعقار، وفصل للحديقة) وباب للمدن والأماكن (وتحته فصول: فصل للمدن والقرى، وفصل للخطط والأبنية) وباب للبيت وأثاثه، وباب لبيوت العرب؛ من خيم وأخبية، وباب لأسماء الكائنات، من البشر والملائكة، وباب لخلق الإنسان (وتحته فصول: فصل للجسد الآدمي، وفصل لأعضائه، وفصل لصفات الأعضاء، وفصل لأسنان الإنسان وأعماره، وفصل لأسماء الأوصاف والطبائع، وفصل لأوصاف المرأة) وباب لعلاقات الإنسان (وفيه فصول: فصل للأقارب، وفصل للصديق، وفصل لأصناف الناس، وفصل لمراتب الناس).

٢- قسم الأفعال.

---

[1] انظر: دائرة المعارف الإسلامية (أدب) ٢/٤٧٠

٣- قسم الحروف.

٤- قسم تصريف الأسماء.

٥- قسم تصريف الأفعال.

وقد اهتم في هذين القسمين الأخيرين بعدد من المسائل النحوية والصرفية، وقد سار الزمخشري فيه على أنظمة مختلفة فهو: "في قسم الأسماء لم يتبع نظام الأبنية، ولا أي نظام آخر وإنما سلك سبيل المعاجم المرتبة وفق الموضوعات فقسمه أبوابا، جمع تحت كل باب منها الكلمات التي تدور حول موضوع واحد، وبدأه بباب جمع فيه الألفاظ الدالة على الأزمنة ثم بيان ما يتعلق بالسماوات، وصفاتها، وما فيها، ثم بباب في الأرض، وما فيها من معادن وأحجار"[١].

"ولم يكن له منهج في ذكر الكلمات، بل كان يوردها اعتباطا دون ضابط أو نظام"[٢] أما في قسم الأفعال فقد اتبع فيه نظام الأبنية.

وهذا الخلط أو الجمع بين أمور معجمية، ونحوية وصرفية يؤكد ما قلناه من إرادة خدمة المثقف المسلم ذي اللسان الفارسي في عملية التواصل الثقافي مع الثقافة المكتوبة بالعربية، الأمر الذي بدا واضحا في عنوان هذا المعجم؛ مقدمة الأدب على الشرط الذي بيناه في مفهوم مصطلح الأدب، الذي يمكن اعتباره مرادفا لمصطلح الثقافة في بعض فترات الفكر العربي القديم.

وهذا المعجم الثنائي استخدم في شرح المداخل العربية اللغة الفارسية الأدبية أو الفصحى في الغالب.

---

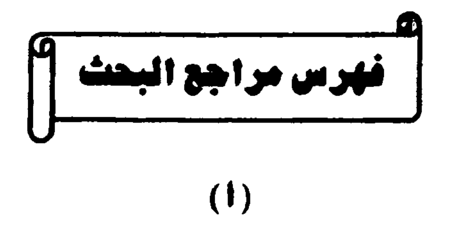
[١] معاجم الأبنية في اللغة العربية ١٩٦

[٢] معاجم الأبنية في اللغة العربية ١٩٦

ويمكن تأكيد ذلك بمقارنة عدد من المواد اللغوية الـواردة في مقدمة الأدب بما ورد عند شتاينجس في معجمه الفارسي الإنجليزي :

مقدمة الأدب	شتــاينجــس
٨٦/١	رأس = سر = ٦٤٤ (رأس) head = سر.
١٠٤/١	بكر / أبكار = دوشيزه = ٥٤٥ (عذراء) virgin = دوشيزه .
١١٣/١	ذمة / ذمم = زنهاري = ٦٢٧ (من يدخل في عهد لحمايته) = one how see seeks protection = زنهاري .

وبذلك يتأكد لنا أيضا بهذا الـصنيع إرادة الزمخـشري خدمــة القارئ الفارسي للكتابات العربية، وإعانته على فهم ما يقرؤه واستيعابه.



(أ)

- إعراب القرآن، للنحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.

(ب)

- بلدان الخلافة الشرقية، لكي لسترنج، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(ت)

- تاريخ التربية الإسلامية، للدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٧٣م.
- تراث المعاجم الفقهية في العربية، للدكتور خالد فهمي، مكتبة إيتراك، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م.

(ح)

- الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، للدكتور حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة ع (٢٣٧)، الكويت، سنة١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

(د)

- دائرة المعارف الإسلامية، لهوتسما، وآخرين ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، دار الشعب، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

(ر)

- رحلتي الفكرية، للدكتور عبد الوهاب المسيري، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

(س)

- السامي في الأسامي، للميداني، تحقيق الدكتور محمد موسى هنداوي، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

(ع)

- علم اللغة وصناعة المعجم، للدكتور علي القاسمي، جامعة الملك سعود، الرياض، سنة ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

(ف)

- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق الدكتور خالـد فهمـي، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

(ق)

- قاموس علم الاجتماع، للدكتور محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، بالإسكندرية، سنة ١٩٩٨م.
- قاموس علم اللغة الحديث، للدكتور محمد نجيب عارف، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، سنة ١٩٩٥م.
- قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفلكلور، لإيكـه هـولتكراس، ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور حسن الشامي، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

(ل)

- اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، للدكتور نايف خرما والـدكتور علي حجاج، سلسلة عالم المعرفة ع (١٢٦) ، الكويـت، سـنة ١٤٠٨هـ = ١٩٩٨م.
- لولا القرآن ما كانت المعاجم العربية، للدكتور خالد فهمي، مجلة الرسالة ع (٤)،القاهرة سنة ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

(م)

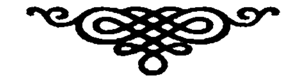
- مبادئ اللغة، للإسكافي، تحقيق الدكتور عبد المجيد ديـاب، دار الفضيلة، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م.

- معاجم الأبنية في اللغة العربية، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
- معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، لمجمع اللغة العربية، القاهرة، سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
- المعجم العربي تاريخه وتطوره، للدكتور حسين نصار، مكتبة مصر، سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- معرفة اللغة، لجورج يول، ترجمة الدكتور محمد عبد الحافظ، الإسكندرية، سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.
- المقدمة، لابن خلدون، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، سنة ١٩٧٩ - ١٩٨١م.
- الموسوعة اللغوية، لكونج، ترجمة الدكتور محيي الدين حميدي والدكتور عبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض، سنة ١٤٢١هـ.

(ن)

- نظريات تعلم اللغة الثانية، للدكتور باري ماكلافن، ترجمة الدكتور عبد الرحمن عبد العزيز العبدان، دار عالم الكتب، الرياض، سنة ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

- A comprehensive Persian - English dictionary, by F. Steingass, Beirut, 1975.
- A dictionary of linguistics and phonetics, by David Crystal, London, 1972.



الدراسة الخامسة :

سَفَرُ الجغرافيا

أثر إرادة الإقليم فى انتقال الألفاظ الإسلامية إلى المعاجم الأجنبية

سَفَرُ الجغرافيا

أثر إرادة الإقليم

فى انتقال الألفاظ الإسلامية العربية إلى اللغات الأجنبية ((المعجم الفارسى نموذجاً))

لا يريد هذا البحث وليس من هدفه أن يدخل فى الجدل الذى يثور أحيانا، ويخفت فى أحيان أخرى حول قضية الإقليمية فى الأدب.

وليس من هدفه أن يظاهر فريقا ضد فريق من المعادين أو المؤيدين المساندين لفكرة استقلال كل إقليم ببعض السمات النفسية التى تطبع آدابه، وطرائقه فى التعبير عن غيره من الأقاليم الأخرى وإن شاركته الدين واللغة والتاريخ .

وهذا البحث يرمى إلى شئ آخر خروجا من هذا الجدل، وهو أن لكل إقليم بيئته الطبيعية والمعنوية التى تسهم فى تشكيل لغته، وأن واحدا من أسباب نمو الثروة اللفظية، راجع إلى طبيعة البيئة، وما تسم به سكانها من سمات وخصائص، وملامح نجد صدآها فى الألفاظ هؤلاء السكان المنتمين إلى هذه البيئة أو تلك .

كما ترمى هذه الورقة إلى الإعلاء من قيمة استفتاء إرادة الإقليم أو خصوصية المكان فى واحد من أهم مباحث الدراسات اللغوية، وهو مبحث التعريب، ولا سيما فى باب معرفة أصل الألفاظ الوافدة أو الدخيلة فى لغتنا، من أى لغة وردت ويكون تحكيم هذا المبدأ المكانى خطوة فى حسم ذلك الخلاف الذى امتلأت به مكتبة تراث المعربات فى

التراث اللغوى العربى حول عدد كبير من الألفاظ متنازعة النسبة إلى عدد غير قليل من اللغات، أو عدد من الألفاظ مسكوت عن نسبتها مع الإقرار بكونها دخيلة أو معربة .

ويمكننا عن طريق هذا المبدأ، مبدأ تحكيم إرادة الإقليم – أن نقرر أن الألفاظ التالية من مثل : الأبنوس، والأرز، والزنجبيل، والمندلى، والموز، والهيل = هندية الأصل، وذلك اعتمادا على الجغرافية الزراعية والاقتصادية التى تقول إن هذه البضائع أو المنتجات كانت من موارد جزيرة العرب من شبه الجزيرة الهندية عن طريق عمان .

(انظر : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية للدكتور شوقى عثمان، عالم المعرفة، الكويت ع ١٥١ لسنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ص ٢٠٥) وانظر : الألفاظ الهندية المعربة ص ١٣٦ وما بعدها .

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن دراسة إرادة الإقليم أو خصوصية المكان أصبح أمرا لازما فى مجال الدراسات اللغوية المتعلقة بقضايا التعريب، وقضايا الثروة اللفظية أو قضايا المعجم بوجه خاص .

وإذا كانت إرادة الأقاليم غير العربية قد أثرت – على ما يثبته التاريخ اللغوى والجغرافيا اللغوية كذلك – فى نمو الثروة اللفظية فى المعجم العربى عندما زودته بقائمة طويلة من الألفاظ نقلها من لغاتها، وأثرى بها حياة لغته، فإن العكس صحيح تماماً .

لقد استطاع الإقليم العربى، ممثلا فى الجزيرة العربية أولا، ثم فى عموم الأقاليم الناطقة باللسان العربى ثانيا بعد استقرار حركة الفتوح،

ودخول شعوب كثيرة تحت لواء الإسلام، ارتضت لغة العرب لغة لها-أن يزوّد عددا من اللغات الأجنبية غير العربية بعدد هائل من الألفاظ العربية أخذت مكانها فى معاجم هذه اللغات .

لقد استطاعت الألفاظ الإسلامية العربية أن تفتح أرضا فى معاجم لغات كثيرة أجنبية على فترات مراحل تاريخية يمكن إجمالها فيما يلى :

أولاً : مرحلة انتقال الألفاظ الإسلامية العربية إلى اللغات الأجنبية المحيطة بجزيرة العرب، بعد استقرار الإسلام، وتسامع المجاورين للجزيرة العربية بالدين الجديد، وأحكامه، وتشريعاته، وآدابه، وأخلاقه - من أكثر من طريق منها طريق إرسال الرسل من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمم المجاورة بكتابات ، ورسائل تدعوهم إلى الإسلام؛ فقد كتب إلى النجاشى ملك الحبشة ، وكسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، والمقوقس عظيم مصر .

وقد دوّنت رسائله وكتبه صلى الله عليه وسلم - إلى هؤلاء الملوك فى مؤلفات خاصة من مثل :

أ- المصباح المضىء فى كتاب النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى ملوك الأرض من عربى وأعجمى لابن حديدة الأنصارى المتوفى ٥٧٨٣ دار الندوة الجديدة، بيروت سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .

ب- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، لابن طولون الدمشقى المتوفى سنة ٩٥٣هـ تحقيق محمود الأرناءوط مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ثم عرفت هذه الشعوب غير العربية الألفاظ العربية بعد اختلاطها بالعرب المسلمين الفاتحين، وعرفوا الدين، وتشريعاته، وأحكامه، وأخلاقه، بأسمائها من أفواه الدعاة المجاهدين الفاتحين .

وسوف تقتصر هذه الورقة على عدد من هذه الألفاظ الإسلامية العربية التى انتقلت إلى المعاجم اللغوية لهذه الشعوب المفتوحة، وأخذت منها مكانا، ولا سيما ما نرى فيه أثر إرادة الإقليم العربى تحديداً .

ثانياً : مرحلة الحروب الصليبية التى احتك فيها الغزاة الأوروبيون بالمجاهدين المسلمين فى بلاد الشام ومصر، ونقلوا من أسماء الأشياء العربية الكثير وأدخلوه لغتهم .

وغالب الأسماء التى دخلت إلى لغات أوربة كان متعلقا بالشأن الحضارى الذى كان غائبا عن أوربة فى هذه العصور الوسيطة .

ثالثاً : مرحلة انتقال الألفاظت العربية عن طريق الحواضر العلمية العريقة ولا سيما فى الأندلس وغيرها عندما كانت مراكز يفدإليها أبناء الأمراء والنبلاء من أنحاء أوربا للتعلم، ثم يعودون، وهم من أبناء الطبقات القائدة المؤثرة، إلى بلادهم، ونشرون كثير مما تعلموه بألفاظه العربية .

وقد صنع الأب روفائيل نخلة اليسوعى فى كتابه : (غرائب اللغة العربية) (المكتبة الشرقية، بيروت، سنة ١٩٨٦م) فصلا كاملا هو الفصل الثالث وعنوانه (تأثير العربية فى أكثر لغات أوربة) يقول فيه (ص١٢٧) « سبب تأثير لغة العرب فى كل لغات أوربة تقريبا هو فتوحاتهم، فلم يمض على ظهور الإسلام بينهم ردح من الزمان حتى فتحوا النربونية؛ وهى ولاية قديمة من فرانسة القديمة، واقعة على ساحل البحر المتوسط ثمحاولوا غزو ذلك القطر » .

وعلى الرغم من عزو الأب روفائيل نخلة أثر العرب فى لغات أوربا إلى زمان الفتوحات فقط، وهو ما لا نوافق عليه؛ لأن التأثير العلمى للغة العرب امتد زمانا طويلا فانه قد ذكر ألفاظا عربية كانت دخلت اللغات الأوروبية من غير عصر الفتوحات مما يؤكد تقسيمنا لمراحل التأثير اللغوى العربى .

ومن هذه الألفاظ التى دخلت اللغات الأجنبية كلمات علمية نشأت بعد استقرار الحركة العلمية والإدارية فى المحيط العربى من مثل : الكحول، والملغم (= اللغم)، والسلطان، ودار الصناعة .

على أن تأثير العربية فى لغات الشعوب الإسلامية، بتصدير الألفاظ الإسلامية العربية لها – كان أكبر بكثير من تأثيرها فى لغات شعوب الأمم الأوروبية .

وسوف نعود بعد قليل إلى اللغة الفارسية كنموذج للتأثير اللغوى العربى فى بابه المعجم فيما يتعلق بهذا الفراغ من ألفاظ الحياة؛ لندرك مدى التأثير العربى فى المعجم الفارسى من خلال واحد من أوسع المعاجم الفارسية مادة، وهو معجم شتاينجس الفارسى الإنجليزى .

وفيما يتعلق بنقطة بحثنا رصد الأب روفائيل نخلة أن اثنتى عشر كلمة (١٢) مختصة بالدين الإسلامى، كانت قد دخل اللغات الأوروبية وهذ الألفاظ عنده هى (ص ١٢٨) الإسلام، والحريم، والخليفة، والصوفى، والقرآن، والمؤذن، والمحمدى والمسجد والمسلمون، والمفتى، والمنارة، والهجرة .

وقد عد روفائيل نخلة اليسوعى من هذه اللغات سبعا وثلاثين لغة تمثلها رؤس اللغات التالية : الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، واليونانية، والأرمينية، والمجرية .

ومع رفضنا لعدد من هذه الكلمات الأثنتى العشرة أن تكون من الدين الإسلامى بالمعنى المتداول فى المعجم الأوربى من مثل كلمة : الحريم إلا أننا أشرنا إلى ذلك للتأكيد على أن الدين الإسلامى الذى جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – ولا سيما فيما يتعلق بأماكن العبادات كالمسجد والقبلة .

وإن كانت هذه الحقيقية؛ حقيقة أثر الإسلام فى نمو الثروة اللفظية فى المعاجم غير العربية – قديمة معروفة فى كتب اللغويين العرب القدماء، إلا أننا أطلنا الوقوف أمام كلام روفائيل نخلة اليسوعى؛ لأنه مسيحى غير مسلم – لنؤكد أن هذه الحقيقة اللغوية المعجمية ليست كلاما عربيا فقط، قد ينازع فيه أحد من أصحاب الملل الأخرى .

وثمة كلام كثير فى كتب السيرة النبوية حول خصوصية المكان، أو الإقليم، وهو جزيرة العرب، وحول سر اختياره موطنا لرسالة الإسلام، دائر كله فى إطار ما أثرت به بيئة هذه الجزيرة فى سكانها على مستوى الأخلاق والأحساد والطبائع والعادات وطرائق الحياة، ومن ثم على لغة

هؤلاء السكان، وقد حكم المؤلفون بأن شبه الجزيرة العربية كان أصلح الأقليم لاحتضان الدين الجديد بما توفر لها من سمات وخصائص طبعت بها أبناء هذا الإقليم، مما هيأهم لحمل عبء هذا الدين، وإبلاغه للعالمين (انظر ما كتبه: أبو الحسن الندوى فى كتابه (ماذا خسر العلم بانحطاط المسلمين ص ٦١ طبعة دار القلم؛ الكويت، ودار الأنصار؛ بالقاهرة، سنة ١٣٩٣هـ = ١٩٧٧م و جلال مظهر فى كتابه (محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سيرته وأثره فى الحضارة طبعة الخانجى سنة ١٩٧١م ص١٩) .

ونحن نرى أن نظرة العرب للمكان كان واحدا من العوامل المؤثرة جدا فى اختيار إقليمهما محضنا للدعوة الجديدة، وهى النظرة التى ساعدت على قبولهم فكرة التوحيد الإسلامية فى يسر وسهولة مقارنة بأقاليم العالم القديم الأخرى التى شهدت أفكارا، وفلسفات مركبة معقدة، يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية (ص– ط) : « والروح اليونانية فى نظرتها إلى المكان، تختلف عن الروح الإسلامية أشد الاختلاف؛ فالمكان فى نظرها هو الأجسام نفسها محددة معينة، بينما المكان فى نظر الروح الإسلامية خلاء غامض هائل »

وهذا هو ما يفسر لنا قبولهم السريع لفكرة التوحيد ، والإيمان بالغيب أو (= الغامض) يضاف إلى ذلك أن الأفكار التى ظهرت فى البلدان الإسلامية حول التجسيد ، والتشبيه ، والتحسيم ، كانت من أثار شعوب الأمم المفتوحة التى نقلت فلسفاتها، وأفكارها المركبة إلى المجال العربى .

وقد أشرنا من قبل إلى أن معرفة اللغويين العرب والمعجميين منهم على وجه الخصوص، وإدراكهم لأثر إرادة الإقليم العربى فى انتقال

الألفاظ الإسلامية العربية إلى اللغات الأجنبية – كان واضحا جليـا فـي كتابتهم، وإن لم يصرحوا بهذا الإصلاح .

ولعل من أقدم ما يدل على ذلك عنوان كتاب أبى حـاتم الـرازى الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية يقول الـدكتور حـسين فـيض الله الهمدانى فى مقدمة تحقيقه (ص ١٤) « وضع الشيخ أبو حاتم أحمـد ابـن حمدان الرازى كتابا جامعا كان أول مرجع يتـضمن .. الأسـماء التـى اصطلح عليها المسلمون، وسماء كتاب الزينة (وهو) بعمله هذا وضع اللبنة الأولى فى علم معانى الأسماء العربية، والمصطلحات الإسلامية » ومـا يهمنا هنا هو هذا الالتفات القديم إلى أن الإسلام كان أوجد إلى النور لأول مرة فى تاريخالعربية – هذه الدلالات لمجموع هذه الألفاظ التى سميت فى تاريخ العلم بالألفاظ الإسلامية العربية .

غير أن لمس فكرة امتناع إمكان وجود هذه الألفـاظ الإسـلامية العربية فى اللغات الأجنبية كان جاءنا بعبارة صريحة عن أبى منـصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ عندما أفرد فصلا عنوانه : (فـصل فـى أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها) فى الباب التاسع والعشرين من القسم الأول من كتابه : (فقه اللغة وسر العربية) (٥٢٤/٢ منتحقيقنـا - ٣٠٥ منطبعة السقا والابيارى وشلبى) .

وقيمة هذا الفصل أنه جاء فى إطار ما يسمى أو ما يمكن أن يسمى بالدراسة المعجمية التقابلية بين العربية والفارسية وهو ما يؤكده عنـوان الباب عند الثعالبى وهو فيما يجـرى مجـرى الموازنـة بـين العربيـة والفارسية.

وكان من آثار هذه الموازنة بين هاتين اللغتين، بالأضافة إلى إرادة تعليم العربية، وتقريبها لمن يرومها ويطلبها من غير أصحاب لسانها – وجود معاجم ثنائية (عربية فارسية) منها :

١- السامى فى الأسامى، للميدانى المتوفى ٥٣١ هـ وقد نشره الدكتور محمد موسى هنداوى بالقاهرة ١٩٦٧ م .

٢- مقدمة الأدب للزمخشرى المتوفى ٥٣٨ هـ وقد حققه الأستاذ محمد فوزى على كجزء من متطلبات رسالته للماجستير بكلية دار العلوم، بالقاهرة سنة ١٩٩٨م .

وهما كما ترى بعد الثعالبى بما يقرب من قرن كامل، أو يزيد .

يقول الثعالبى فى كتابه : فقه اللغة وسر العربية ٢ / ٥٢٤-٣٠٤ « فصل ... فى أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها:

الزكاة . الحج . المسلم . المؤمن . الكافر . المنافق . الفاسق . الحنث . القربان . الإقامة . التيمم . المتعة . الطلاق . الظهار . الإيلاء . القبلة. المحراب . المنارة . الجبت . الطاغوت . إبليس . السجين . غسلين . الضريع . الزقوم . التسنيم . السلسبيل . هاروت وماروت . يأجوج ومأجوج . منكر ونكير . »

وهذه العبارة التى جاءت فى مقدمة هذا النقل عنوانا للفصل، وهى عبارة « يتعذر...» – إقرار من بعض الوجوه بأثر إرادة الإقليم الذى أنتج فى العربية هذه الألفاظ .

وهذا الجانب مما يتماس مع الجغرافيا اللغوية، وعلم اللغة الاجتماعى، والصراع بين اللغات من بعض الزوايا .

وكلمات القائمة التى سبقت، بغض النظر عن الأعلام الموجودة فى هذه القائمة، جاءت عن طريق الاشتقاق من ألفاظ العرب، وإن كان الإسلام قد أضاف إليها أبعاد دلالية جديدة لم تكن معهودة معلومة للعرب، لكن أصولها التى اشتقت منها قربت تناولها ويسرت تقبل دلالتها الجديدة يقول ابو حاتم الرازى فى كتابه (الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية) (١٣٥/١) : « إن الأسماء التى هى مشتقة من ألفاظ العرب .. لم تكن العرب تعرفها؛ لأن الإسلام، والإيمان، والنفاق ... ظهرت على عهد النبى، صلى الله عليه وسلم » وتأمل اللفظ الأخير، وهو النفاق يؤكد ما نقرره وأدرناعليه ورقتنا هذه – من أثر إرادة الإقليم . وتاريخ اشتقاقها يرجع زمانا إلى المرحلة التى أضمر فيها نفر – لم يستطيعوا مواجهة الدين الجديد عقب اشتداد شوكة أصحابه – الكيد والمخادعة بعد تأسيس الدولة الإسلامية بعد هجرة النبى الكريم – صلى الله عليه وسلم .

والكلمة بعدُ مأخوذة من نافقاء اليربوع، وهو بيته السابع الذى يفر إليه ممن يطلبه فى غيره، وسوف يأتى مزيد توضيحفىتحليلها فيما بعد .

ثم صدرت العربية أمثال هذا اللفظ إلى اللغات الأخرى، ومثل هذه الأسماء التى تميز أشياء بعينها لم يكن مردّ أكثرها إلى العقل، « بل كان مردها إلى الطبائع التى أنشأتها إرادة الإقليم، المسيطرة على الطبائع الإنسانية، وإلى العادات المتوارثةالتى لم تقاومها هذه المدنيات مقاومة الحرب، والإبادة، فكذلك بقيت هذه المميزات قائمة ، سائرة ، متعارفة » (جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها الدكتور عادل سليمان جمال، ١ / ٧٥ طبعة مكتبة الخانجى بالقاهرة ٢٠٠٣ م)

وفيما يلى سنحاول استخلاص عدد من الكلمات التى دخلت المعجم الفارسى مما يتعلق بهذا النوع من الكلمات الإسلامية العربية ، مما له كبير علاقة بالإقليم أو المكان ، يرشح لورقتنا .

قربت تناولها ويسرت تقبل دلالتها الجديدة يقول أبو حاتم الرازى فى كتابه (الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية) (١/١٣٥) : « إن الأسماء التى هى مشتقة من ألفاظ العرب... لم تكن العرب تعرفها؛ لأن الإسلام ، والإيمان، والنفاق... ظهرت على عهد النبى، صلى الله عليه وسلم » وتأمل اللفظ الأخير، وهو النفاق يؤكد ما نقرره وأدرنا عليه ورقتنا هذه من أثر إرادة الإقليم . وتاريخ اشتقاقها يرجع زمانا إلى المرحلة التى أضمر فيها نفر – لم يستطيعوا مواجهة الدين الجديد عقب اشتداد شوكة أصحابه – الكيد والمخادعة بعد تأسيس الدولة الإسلامية بعد هجرة النبى الكريم – صلى الله عليه وسلم .

والكلمة بعدُ مأخوذة من نافقاء اليربوع، وهو بيته السابع الذى يفر إليه ممن يطلبه فى غيره، وسوف يأتى مزيد توضيح فى تحليلها فيما بعد .

ثم صدرت اللعربية أمثال هذا اللفظ إلى اللغات الأخرى، ومثل هذه الأسماء التى تميز أشياء بعينها لم يكن مردّ أكثرها إلى العقل، « بل كان مردها إلى الطبائع التى أنشأتها إرادة الإقليم، المسيطرة على الطبائع الإنسانية، وإلى العادات المتوارثة التى لم تقاومها هذه المدنيات مقاومة الحرب، والإبادة، فكذلك بقيت هذه المميزات قائمة ، سائرة، متعارفة » (جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها الدكتور عادل سليمان جمال، ١/٧٥ طبعة مكتبة الخانجى بالقاهرة ٢٠٠٣م) .

وفيما يلى سنحاول استخلاص عدد من الكلمات التى دخلت المعجم الفارسى مما يتعلق بهذا النوع من الكلمات الإسلامية العربية ، مما له كبير علاقة بالإقليم أو المكان، يرشح لورقتنا .

وسوف يغض هذا البحث الطرف عن الألفاظ العربية التى دخلت الفارسية وتنتمى إلى مجال المستحدثات الحضارية؛ لأن اللغات كلها متساوية فى تصدير مستحدثاتها الحضارية بأسمائها. وإنما يأتى التفاوت بين لغات الشعوب في هذا المضمار – من اختلاف حظوط أبناء هذه الشعوب واللغات فى الاجتهاد، والابتكار، والصناعة، ومجمل الجد فى ضروب الحياة المنتجة .

والنموذج الذى اخترناه لاستخلاص الكلمات هو معجم العالم الألمانى (شتاينجس STEINGASS وعنوانه (A COMPREHENSIVE PERSIAN – ENGLISH DICTIANARY)

الذى صدرت طبعته الأولى سنة ١٨٩٢م، وإن كنا سنعتمد طبعته التى صدرت سنة ١٩٧٥م ، ويأتى اختيارنا لهذا المعجم تحديداً مسوغاً بأكثر من سبب كما يلى :

١- إن مؤلفه شتاينجس كان واحدا من أبناء مدرسة متقدمة فى الدراسات الإيرانية فى الأوساط العلمية فى أوربا ، وأقصد ألمانيا، حيث كان أستاذاً فى جامعة ميونخ .

٢- إن هذا الرجل نفسه كان واحد من علماء العربية ، ألف فيها معجمين أحدهما: عربى – إنجليزى ، وثانيهما : إنجليزى – عربى .

٣- إن شتاينجس كان واعيا بأن معجمه لا يمكن أن يهمل الألفاظ ، والعبارات العربية التى دخلت الفارسية ، وضمنها معجمه هذا يقول فى صفحة العنوان ما ترجمته: وهو معجم « متضمن الألفاظ ، والعبارات العربية التى طرقت الأدب الفارسى » . كما أنه حدد أصول الكلمات غير الفارسية فى معجمه بوضع رمز للغة الأم التى انحدرت منها واستقرت فى المعجم الفارسى .

٤- إن شتاينجس أوروبى وليس عربيا أو مسلما، ثم إنه متأخر زمانا قد ألف معجمه فى زمان احتلال لنا ويتعصب ضدنا، وقد ذكرنا هذا كله حتى لايقال إنه ألف معجمه فى عصر المد الحضارى العربى، بل هو جاء فى زمان علو كعب الحضارة الغربية التى تنال من حضارتنا، وثقافتنا، وتتنقص لغتنا، وفى إقراره هذا – بعد كل ذلك بحقيقة ما وصل من العربية إلى غيرها من اللغات – ما فيه .

وسوف نقتصر فى استخلاصنا لبعض الألفاظ النماذج على الباب الأول وهو حرف الألف ، وسوف نذكر اللفظة وقبلها رقم الصفحة والعمود أو النهر الذى ورد فيه، وسنقتصر كما أشرنا من قبل إلى ما نرى فيه أثرا لإرادة الإقليم، وعلامة من علامات خصوصية المكان. من دون ذكر للأعلام بأنواعها ، أوما يتعلق بالإسلام تشريعا أو دينا فقط ولا يرى فيه أثر لإرادة الإقليم أوخصوصية المكان؛ لأن الإعلام أو اصطلاحات العبادات، مظنة لعدم التغير عند انتقالها من لغة إلى لغة أخرى .

وهذه الألفاظ التى سنذكرها دخلت الفارسية بأصواتها،ورسمها، وبطريقة نطقها العربى، يؤكد ذلك ما ذكره المؤلف عقب كل كلمة من رسم صوتى نطقى بطريقة التمثيل الصوتى = TRANSLITERATION .

والأمر بعد لا يحتاج إلى ادعاء الاجتهاد من جانبنا فقد حدد المؤلف الكلمات الأجنبية غير الفارسية الأصول التى دخلت المعجم الفارسى بوضع رمز للغة الأصل التى صدّرت اللفظ ، فقد وضع الرمز الكتابى A أمام كل كلمة عربية دخلت الفارسية، وذكرها فى معجمه وهو اختصار للغة العربية ARABIC .

ومثل ذلك فعله مع اللغات الأخرى كاليونانية ، والهندية وغيرهما.

من هذه الألفاظ التى ظهر عليها أثر إرادة الإقليم العربى ثم جاءت فى معجم شتاينجس .

٤ / ع٢ ابتداع = وقد نص على أنه استحداث أمر فى الدين .

٥ / ع١ ابتهال = وقد نص على معناها المتعلق بالدعاء وفى الصلاة .

١٧ / ع١ اجتهاد = وقد أشار إلى المعنى العلمى المتعلق بعلم الأصول، وهو علم شرعى .

١٨ / ع٢ إجماع = وقد نص على المعنى الشرعى المتعلق بالاجتماع حول نقطة فى التشريع = (القانون) فى نص شتاينجس .

١٩ / ع٢ إحباس = أشار إلى أنها وقف للاستخدام الدينى ورعا، وتقوى.

٢١ / ع٢ إحسان

١٢ / ع٢ أحصان = اتخاذ زوج، وله علاقة ببعض تشريعات الأسرة، والحدود .

٢٦ / ع١ إخلاص - أشار إلى المعنى المتعلق بالعبادة المنافى للرياء .

٢٨ / ع١ أدعية - أشار إلى تعلقها بالصلاة .

٣١ / ع٢ أذكار - وأدعية فى أوقات متعددة متنوعة .

٣٧ / ع٢ أرامل - جمع أرملة للمرأة التى فقدت زوجها .

٣٨ / ع١ إركاز - فيما يتعلق بالمعادن داخل الأرض - (فى باب زكاة الركاز) .

٤٥ / ع٢ أزيز - لصوت الغليان .

٤٦ / ع٢ إساءة - ذكر أن معناها الذنب .

٥٠ / ع١ استبراء - طلب نقاء الرحم بعد وفاة زوج المرأة ، أو طلاقها، وقد أشار إلى ذلك .

٥٠ / ع١ استجارة - طلب حماية، وهو من المعانى المتعلقة بجزء من الشرع يتعلق بعرض الدين .

٥٠ / ع٢ استحاضة - وهى تتعلق بالدم النازل بعد انقطاع الحيض (وله علاقة بالعبادات التى تجب على المرأة بعد أن كانت حراما فى فترة الحيض - (الدورة الشهرية).

٥١ / ع١ استخارة - طلب المعونة من الله سبحانه بكيفية خاصة فى ترجيح أمر يحار الإنسان تجاهه .

٥١ / ع٢ استدلال - إعطاء الحجة والبرهان على شئ ما إيجابا أو إثباتا، أو سلبا أو نفيا ... إلخ .

٥١ / ع٢ استرجاع - رد الأمر إلى الله سبحانه - (من إن لله وإن إليه راجعون) .

٥٢ / ع١ استسقاء - طلب نزول الغيث بكيفية خاصة .

٥٢ / ع١ استشهاد - ذكر الدليل على حجية شئ .

٥٢ / ع٢ استطاعة

٥٣ / ع١ استعاذة - طلب النجاة من الشيطان -(من أعوذ بالله؛ أى احتمى أو ألجأ إليه) .

٥٤ / ع٢ استنثار - إخراج ما علق بالأنف بالماء، وهو من أفعال الوضوء.

٥٥ / ع١ استنجاء - تنظيف مكان إخراج النجو، من أماكن العورة المغلظة .

٥٥ / ع١ استنشاق - غسل الأنف بالماء من الداخل .

٥٧ / ع١ إسراء - نص على أنها رحلة ليلة .

٦٧ / ع١ أشواط - وقد نص على معناها بالدوران أو السعى فى الحج والعمرة .

٦٩ / ع٢ أصول - وقد نص على المعنى المتعلق بالقواعد العامة (-أصول الفقه) .

٧٣ / ع٢ اعتقاد - وقد نص على معنى الإيمان والعقيدة .

٧٧ / ع١ اغتسال

٧٤ / ع٢ إفك - وهو كذب تاريخى متعلق بحادثة بعينها ولا سيما عند التعريف .

١٢٣ / ع٢ اهتداء - وقد أشار إلى علاقة بإيجاد الطريق السوى وله علاقة بالأدلة والنجاة فى الصحارى .

١٣٢ / ع١ إيمان - وقد أشار إلى أنواع الحلف .

وتأمل هذه الألفاظ الإسلامية العربية التى دخلت الفارسية بأصواتها وأبنيتها وطريقة نطقها، والتى أوردتها كما جاءت فى المعجم الفارسى الإنجليزى المذكور - يؤكد ما قدّمنا به من أثر إرادة الإقليم فى

تصدير هذه الألفاظ إلى معاجم اللغات الأجنبية التى أتخذنا لها نموذجا هو معجم شتاينجس .

وليست هذه الكلمات هى كل الكلمات العربية التى ذكرها ذلك المعجم، بل هى لاتكاد تمثل شيئا من كثافة الكلمات المذكورة فى باب الحرف الأول، وإنما اقتصرنا عليها؛ لأننا رأينا فيها بروز أثر الإقليم أو خصوصية المكان العربى .

خذ مثلا من خارج حرف الألف، ورد سابقا عند المعجميين العرب، وشاركهم فى ذكره شتاينجس، وهو لفظ النفاق ١٤١٤ / ع٢، وقد دخلت هذه اللفظة برسمها، ونطقها وقد مثلها صوتيا كما يلى : N-IFAQ إلى الفارسية وترجمها المؤلف بكلمة HYPOCRISY الإنجليزية ومعناها (التظاهر بالفضيلة، خداعا للأخرين) .

وهذا المعنى متداول فى كل المجتمعات؛ بحكم وجود مظاهر للحياة تفرض أن يختلط الأغنياء المسيطرون بالفقراء، الذين يجنح بعضهم إلى مواجهة الأقوياء بهذه الطريقة من التعامل .

غير أن لفظة النفاق العربية التى دخلت المعجم الفارسى بأصواتها ونطقها، لها علاقة بإرادة الإقليم فى جزيرةالعرب؛ لأنها متعلقة بالمكان، ومتعلقة بسياق حالى له حضوره فى التاريخ العربى ارتبط بجغرافية الإقليم العربى، وشكل جزءا من إرادته .

يرى الدميرى فى كتابه (حياة الحيوان (يربوع) ص ٢٣٥٩) نقلا عن الجاحظ فى كتابه (الحيوان) ٣٣٢/١ :

« واسم المنافق لم يكن فى الجاهلية لمن أسَـرّ الكفـر، وأظهـر الإيمان ، ولكن البارى جل وعلا اشتق له هذا الإسم، من هذا الأصل، من نافقاء اليربوع ؛ لأنه أبطن الكفر، وأظهر الإيمان، وورّى بشئ عن شئ، ودخل فى باب الخديعة، وأوهم الغير خلاف ما هو عليه، أشبه فى ذلك فعل اليربوع » .

وهذه تسمية راعت – كما نرى – المكان والإقليم، فلما نقلها الفرس المسلمون وكان بالإمكان نقلها بالترجمة لمعناها، مع تخصيصها بمجال الدلالة الذى خصصه لها الإسلام ، لكن الذى حدث من المعجم الفارسى أنه نقلها بنطقها، ولم ينقلها نقل ترجمة، مع إمكان ذلك، لأن الناقل الفارسى رأى أن ترجمتها سيفقدها حضورها التاريخى الذى حدد ملامح دلالتها فى العربية الإسلامية .

خذ مثلا آخر من هذه القائمة الأخيرة وهو لفظ (الاستنجاء) . وهو لفظ كما ترى قد راعى طبيعة العرب، فى إزالة نجاسات أبدانهم التى يسمونها نجوا؛ ومن ثم يصبح المعنى هو طلب إزالة هذا النجو.

أو قد يكون اللفظ قد راعى طريقة الاختفاء فى الوديان والمنخفضات طلبا للسترة عند قضاء الحاجة، ولم تكن العرب تتخذ فى بيوتها الكنف أو الحمامات لزمان طويل امتد لوقت بعد الهجرة .

أو قد يكون اللفظ قد راعى طريقة العرب فى إزالة نجاسات أبدانهم بالحجارة ، على عادة العرب؛ لندرة المياه، وضنهم بها فى غير الشرب والطعام .

وكل هذه معانى ليست لها علاقة بالإقليم الفارسى؛ لأن فارس أو إيران بلد من بلدان الحضارة القديمة تعرف (الكنف) فى بيوتها، ولا تخرج تتغوط فى الوديان، أو المرتفعات .

وهو بعدُ بلد وافر المياه، يستخدمونها فى إزالة نجاسات أبدانهم، ودخول هذه الكلمة ومثيلاتها، برسمها ولفظها العربى إلى المعجم الفارسى – يؤكد أثر إرادة الإقليم العربى مع أنهم لا ينظفون أنفسهم بطريقة العرب فى تنظيفهم، فاستعاروا هذه اللفظة لعلمية التنظيف . لقد انتقلت الجغرافيا، وسافر الإقليم بسماته وخصائصه عن طريق ما استعير من لغته .

ومثل ذلك يقال فى تحليل كلمة الاهتداء، وطلب الطريق السوية، وهو مصطلح ألصق بطبيعة إقليم يعرف المفاوز والصحارى .

ومثل ذلك وارد صحيح فى هذه الأمثلة التى أوردناها. لقد كان بالإمكان ترجمتها ، لكن الفرس نقلوها كما هى – على ما أورده شتاينجس – من دون إلغاء للنطق العربى؛ ليبقى كل ذلك دليلا من جانب – على أثر المعجم العربى ، فى إنماء معاجم اللغات غير العربية بكثير من الكلمات هى بنات المكان العربى ، أو الإقليم العربى بعد مجيء الإسلام العظيم .

وإرادة الإقليم يَعدُ باب من العلم صالح فى مجال دراسة الأعلام الإنسانية، والأعلام الجغرافية دراسة دلالية يُبين أثره فى بناء هذه الأعلام أو تلك إلى غير ذلك من أبواب الدراسات اللغوية كما سبق أن أشرنا فى باب التعريب مثلا .

فهرس مراجع البحث

- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، لابن طولون الدمشقي، تحقيق محمود الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .
- الألفاظ الهندية المعربة، للدكتور محمد يوسف، ضمن مجلة اللسان العربي الرباط، العدد العاشر، الجزء الأول في ذي القعدة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٣م .
- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، للدكتور شوقي عثمان سلسلة عالم المبعرفة، الكويت، العدد ١٥١ سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م .
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية دراسات لكبار المستشرقين، تأليف وترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة ١٩٦٥م .
- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمع الدكتور عادل سليمان جمال مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م .
- حياة الحيوان، للدميري، كتاب الجمهورية، دار التحرير للنشر، القاهرة سنة ١٩٩١م .
- الحيوان، للجاحظ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٩٦٥م .

- الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية، لأبى حاتم الرازى، تحقيــق حسين فيض الله الهمذانى، القاهرة، سنة ١٩٥٦م الجــزآن الأول والثانى .



الدراسة السادسة :

تقدير الآخر : العناية بالمُعرَّب في القرن العاشر الهجري

العناية بالمُعرَّب في ضوء الانسجام المعرفي في بنية الثقافة العربية الإسلامية.

تمهيد :

هل كان القرن العاشر الهجري قرن انهيار حضاري أو مقدمة له، فقد فيه المجتمع الإسلامي انسجامه المعرفي أو بدأ في ذلك ؟ وهل تبدت علامات لهذا الانهيار إن سلمنا بالقول بوقوعه ؟ أم كان على النقيض من ذلك قرناً صُبِغت فيه المجتمعات الإسلامية بالتحضر ؟

هذان فرضان يحاول هذا البحث أن يخضعهما للفحص من خلال الدرس اللغوي؛ بمعنى أنه يرى أنه بالإمكان فحص أحد هذين القولين اعتمادا على ما يمكن أن يسمى باللغويات الفاحصة*، والمقصود من هذا العنوان استثمار بعض المسائل التي هي من صميم علم اللغة في فحص عدد من المقولات الاجتماعية، ولاسيما في علم اجتماع الثقافة المتعلق ببنية المجتمعات العربية والإسلامية من خلال ما وصل إلينا من تراثها، وإنتاجها الفكري في جانبه اللغوي.

ومن هنا تأتي أهمية اختيار هذا البحث لهذين العلمين اللغويين الكبيرين، ليمثلا جناحين للحضارة الإسلامية في جزئها المشرقي المحاط

---

* اللغويات أو اللسانيات الفاحصة مصطلح نقترحه ونقصد به استخدام الدرس اللساني أو اللغوي في فحص عدد من مقولات العلوم الأخرى بهدف التأكد من صلاحيتها؛ بمعنى اعتبار اللغويات آلية إجرائية لقياس بعض الظواهر الاجتماعية أو غيرها مما ينعكس بدوره على بنية لغة ما من اللغات ولاسيما في مستوى المعجم وهناك دراسات ما تزال في طور النشأة عن المعاجم والثقافة راجع في هذه المسألة: المعاجم عبر الثقافات، لهارتمان ٥٦ وما بعدها.

باللسان العربي، وفي جزئها غير العربي المحاط بلسان آخر، من خارج دائرة فصيلة اللغات السامية التي تنتمي إليها العربية.

ويمثل هذه المنطقة الجغرافية العربية من العالم الإسلامي جلال الدين السيوطي الشافعي المتوفى عام ٩١١ هـ، كما يمثل ابن كمال باشا شيخ الإسلام في إستانبول المتوفى سنة ٩٤٠ هـ المنطقة الجغرافية الأخرى غير العربية من هذا العالم الإسلامي؛ واختيار هذين العلمين مقصود للتأكد من نتائج فحص الدعوى التي ينطلق منها البحث وهي أن قبول الآخَر، فضلا عن تقديره، والاعتراف بمنجزاته ـ واحد من عناصر التحضر، ومقياس أو معيار يُحتكم إليه في قياس تحضر مجتمع ما من عدمه.

أضف إلى ذلك أن هذا المقياس الاجتماعي الثقافي سيتخذه البحث دليلا على ما يسمى في علم اجتماع الثقافة / الأنثولوجيا، بالاتساق المعرفي أو الانسجام المعرفي والمقصود به "اتساق بين المعتقدات والأفكار، والإدراكات، وموضوعات وأشكال المعرفة الأخرى التي تشكل نسق المعرفة والذي يمثل كلا متكاملا منسجما لا ينطوي على أية تناقضات داخلية، وانسجام المعرفة ليس مطلقا، وإنما يتغير في ضوء ظروف ومواقفَ معينة"[1].

وهذا المعيار بهذا المعنى صالح لقياس ما إذا كان العالم الإسلامي في القرن العاشر الهجري مجتمعا متحضرا أم غير متحضر،

---

[1] قاموس علم الاجتماع ص ٦٦- ٦٧.

يعاني من التدهور أو من النكوص الثقافي، ذلك أن واحدا من أشكال التدهور والتفكك راجع إلى رفض الآخر[1].

وهذه المقاومة لبعض العناصر الثقافية، وبخاصة في مجال المفردات الحضارية، أو قبولها يمكن أن يعد المحك الحقيقي لفرضية البحث، للدرجة التي تمكننا أن نصوغها في المعادلة التالية:

الاعتراف بوجود ألفاظ أعجمية معربة في بنية اللغة العربية دليل على الانسجام في أنحاء العالم الإسلامي (عرب وعجم) المعرفي وقبول الآخر .

بمعنى أن الإسلام يقدر جهود الإنسان عموما، بمقتضى قانون كوني، وضعه الله سبحانه في الأرض، وأن هذا القانون كامن في بنية الثقافة الإسلامية في عصور القوة بمقتضى النص الذي استهللنا به هذا البحث من كلام أبي الوليد بن رشد ٥٩٥ هـ في كتابه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، حيث يقول إنه "يجب علينا إن ألفينا لمن تقدم من الأمم السالفة نظراً في الموجودات، واعتبارا لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان - أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسُررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم"[2].

---

[1] انظر في مفاهيم مصطلحات التدهور والنكوص والتفكك والقبول ونمط الرفض: قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور ص ٨٨، ٣٥٤، ١١٩، ٣٦٠ على الترتيب.

[2] فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال ص٢٨.

وقد أداه استنباطه هذا إلى أن يقول إنه قد "تبين أن النظر في كتب القدماء (الآخر) واجب بالشرع"[1].

وهذا البحث يرى أن هذا الانسجام المعرفي cognitive consonance، باعتباره شكلا من أشكال تحضر المجتمعات الإسلامية ظل قائما، كائنا في بنية الثقافة في القرن العاشر الهجري مما يدل على أنه لم يكن عصر انحطاط أو تدهور، وهو ما سوف تؤكده العينة sample التي أخضعناها للدراسة، المتمثلة في الجلال السيوطي وابن كمال باشا.

وبهذا – وعن طريق استخدام القول بالمعرب، والعناية به، أمكن قياس تماسك المجتمع الإسلامي ثقافيا وحضاريا عن طريق حلول تقدير الآخر وقبوله في قائمة العناصر الثقافية في بنيته في هذا القرن، وأن جوهر الثقافة أو نمطها السائد في هذه المجتمعات ظل موجوداً ولم يختف في هذا القرن، الذي يراه البعض مقدمة للانهيار، ذلك أن جوهر الثقافة يعرف بأنه "تلك الاتجاهات العامة، والنظرة إلى الحياة والمظاهر الحضارية التي تمنح شعبا من الشعوب مركزه المتميز في العالم"[2].

وهذه النظرة إلى الآخر، والاعتراف بمنجزه، والاقتراض منه كان نمطا سائدا، مما يدل على أن المجتمع الإسلامي في هذا القرن – من هذه الوجهة – لم يكن مجتمعا منعزلا، ولا متخلفا، وقد شاع في كثير من الكتابات الاجتماعية وغير الاجتماعية وصف المجتمعات المنهارة حضاريا بأنها لا تستعير شيئا من المجتمعات العدوّة.

---

[1] فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال ص٢٨.

[2] انظر: قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور ص١٧٣.

يقول الدكتور عبد الهادي زاهر في معرض استدلاله على ذلك: "لكننا نشير هنا إلى حقيقتين جوهريتين تتصلان بالمجتمع وبوضعه الحضاري ....، الحقيقة الأولى ... أن الشاعر (أو المثقف) في ظل المجتمع الموحد يكون ميالا إلى أن يشعر بأنه جزء من هذا المجتمع بدلا من أن يكون متمرداً عليه، يفضل أن يكون موصلا للحقيقة القديمة على أن يكون مكتشفا لحقيقة جديدة. وعندئذ لا تبتعد رؤية الفنان (أو المثقف) كثيرا عن رؤية مجتمعه واستعارة مفهوم (ما) من مجتمع ما مغاير نوع من التمرد والرفض، ومحاولة لنسخ الحقيقة القائمة وإحلال أخرى محلها، وهو ما لا يحدث في مثل هذا المجتمع.

" وتتصل بهذه الحقيقة حقيقة أخرى هي أن المجتمعات العربية كانت بدرجة ما مجتمعا مهددا أو يشعر بأنه مهدد "[1]؛ من جراء ما تعرض له من هجمات من الغرب ومن ثم فاعتراض العرب المسيحيين من خلال مؤلفات المعربات اللغوية باستعارة مفاهيم حضارية يمثلها مجموع الكلمات التي عُرِّبت يدل على عدم إحساس بالضعف أو الخوف من التهديد، ويدل على العكس من ذلك تماما أن المجتمعات الإسلامية ظلت متمتعة بما سميناه الانسجام المعرفي.

ونحن نقرأ ما يقوله المؤرخون من أن المجتمع الإسلامي في مصر مثلا موطن الجلال السيوطي في أيام القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي كان بدأ فيه "زوال ملك مصر وسيادتها، وكان بدء رقها، وفاتحة ذلتها مدى عصور طويلة، ذوى فيها مجدها التالد،

[1] صلة الموشحات والأزجال بشعر التروبادور ص١٢٢-١٢٣ وانظر كذلك في علاقة اللغة بالثقافة كتاب: علم اللغة الاجتماعي للدكتور كمال بشر ص٢٣٥ وما بعدها.

وركدت فيها كل نواحي عظمتها السالفة، وانحدرت إلى شبه ما تنحدر إليه أمة عظيمة، من ضروب الانحلال الفكري والاقتصادي والاجتماعي"[1].

لكننا نرى في هذا قدرا من العصبية لمصر مادة دراسة الراحل الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه مؤرخو مصر الإسلامية؛ لأننا نرى القرن العاشر الهجري ولو على المستوى الفكري قد شهد بزوغ عدد ضخم من الموسوعيين، ويمكن تعميم ذلك الحكم في غير مصر من الجانب الآخر غير العربي من خريطة العالم الإسلامي كما نرى في النموذج الثاني من العينة المختارة وهو ابن كمال باشا.

إن ما يهمنا فحصه هنا هو أن العناصر الثقافية في بنية المجتمع الإسلامي شرقا وغربا في ذلك العصر لم تتنكر للمبادئ الفكرية للإسلام، وهذا ما تكفل بأدائه والدلالة عليه ما سميناه العناية بالمعرب؛ حيث كانت تلك العناية دليلا من جانبنا على أمرين هما:

١- الانسجام المعرفي، أو تماسك ثقافة الإسلام في هذا القرن الذي يعده المؤرخون فاتحة للانهيار.

٢- التحضر بمعنى أن المجتمعات الإسلامية في هذا القرن وإن لم تنتج أشكالا مادية تدل على رفعة حضارتها، إلا أنها كانت متمتعة بواحد من أهم ما يدل على تحضرها المعنوي والفكري الذي تبدى في قبول هذه المجتمعات للآخر والاعتراف بمنجزه من خلال الاعتراف باقتراض بعض رموزه الثقافية المتمثلة في عدد من المفردات التي دخلت بنية المعجم العربي فيما يعرف اصطلاحا

---

[1] مؤرخو مصر الإسلامية ص١٥٣ وانظر: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص١٩٧.

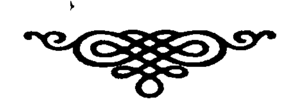
بالمعرَّب، فضلا عن كثافة المنجز التأليفي مقارنة بقرون الإسلام المختلفة في مجال التأليف في المعرب الذي هو اللفظ المنقول إلى العربية من لغة أخرى أجنبية.

وفي الجدول التالي ما يبرز هذه الكثافة، مما يؤكد أن المنتج الحضاري في مجال الكتب يصب في بابة عدم اتهامه – بإطلاق – بالتخلف، وسوف نتوقف على ما وصل إلينا:

القرن الهجري	عدد مؤلفات المعرب	النسبة المئوية
السادس	١- الجواليقي - المعرب ٢- ابن بري - حاشية على المعرب	١٦,٦٧٪
التاسع	١- البشبيشي - التذييل	٨٪
العاشر	١- السيوطي - المتوكلي ٢- السيوطي - المهذب ٣- ابن كمال باشا - رسالة تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية ٤- ابن كمال باشا - رسالة في تعريب الزنديق	٣٣,٣٣٪

الحادي العشر	١- الخفاجي = شفاء الغليل ٢- عبد الرشيد الحسيني = المعربات الرشيدية	١٦,٦٧٪
الثاني العشر	١- مصطفى المدني = جامع التعريب ٢- المحبي = قصد السبيل ٣- محمد راغب باشا = الذكر المخلد	٢٥٪

ويتضح لنا من تحليل الجدول السابق ارتفاع النسبة المئوية للتأليف في المعرب في القرن العاشر الهجري مقارنا بما سبقه أو ما خلفه في حجم المنجز التأليفي في مجال المعربات اللغوية، مما يدل على عدم تخلف ذلك القرن الهجري حضاريا وفق العلامات التي قدمناها في هذا السياق .



تقديــر الآخـــر!

العناية بالمعرب في القرن العاشر الهجري
(مؤلفات الجلال السيوطي وابن كمال باشا)
مقال في التوثيق

١- الجلال السيوطي ٩١١ هـ:

يعد الجلال السيوطي واحدا من أكبر المؤلفين الموسوعيين في تاريخ الفكر العربي والإسلامي، إذا نظرنا إليه من زاوية عدد ما ألف، أو من زاوية قيمة ما تركه لنا، وهو كذلك من كبار اللغويين في تراث الدرس اللغوي العربي، بقياس ما تركه لنا في النظرية اللغوية، أو ما تركه لنا في التأليف المعجمي والنحوي.

وهو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر كمال الدين بن محمد، المعروف بجلال الدين السيوطي الخضيري الشافعي المولود في عام ٨٤٩هـ = ١٤٤٥م والمتوفى عام ٩١١هـ=١٥٠٥م.

(انظر في ترجمته ما كتبه عن نفسه في: التحدث بنعمة الله، وبروكلمان ق٦ (١١ - ١٢) ص ٦٠٣ وما بعدها، ودليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها ٧ وما بعدها) .

وقد ترك لنا في مجال التأليف في المعرب ما يلي:

١- المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات يقول عنه بروكلمان ق٦/ ١١- ١٢ ص ٦١١ رقم ١٣ " هذا كتاب مختصر في معرب (معربات) القرآن " .

والكتاب منسوب إلى الخليفة المتوكل على الله، عبد العزيز بن يعقوب المتوفى في ٩٠٣هـ وهو من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر.

وقد طبع في مطبعة الترقي بدمشق ١٣٤٨هـ، وحققه وترجمه رسالة للدكتوراه من جامعة ييل المستشرق: بيل W. Y. Bell، ونشره بالقاهرة عام ١٩٢٤م.

ثم حققه الدكتور عبد الكريم الزبيدي ونشره في جامعة سبها بليبيا سنة ١٩٨٦م[١].

٢- المهذب (المذهب) فيما وقع في القرآن من المعرب، وقد حرّف اسمه بروكلمان فجاء عنده : المهذب فيما دفع من القرآن من المعرب!

وقد حققه الدكتور التهامي الراجي الهاشمي ونشره صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بالمغرب / والإمارات بدون تاريخ .

وكان نشره من قبل الدكتور إبراهيم أبو سكين، بالقاهرة سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٣- وقد ذكر بروكلمان ق٦ / ١١-١٢ ص ٦١١ رقم ١٢ عنوانا آخر للسيوطي هو مقدمة في الألفاظ المعربة في القرآن، ولعله هو المهذب نفسه! أو لعله هو الفصل الذي عقده السيوطي في كتابه الإتقان ٢/١٠٥ للمعرب القرآني! وهذا الفصل في الإتقان تلخيص لما في المهذب بنص المؤلف نفسه حيث يقول في النوع الثامن

---

[١] انظر: كشف الظنون ١٩١٤ ودليل مخطوطات السيوطي ص٥٦/٤٤ وبروكلمان ق٦ / ١١-١٢ ص٦١١.

والثلاثين فيما وقع فيه (أي في القرآن) بغير لغة العرب: "قد أفردت في هذا النوع كتابا سميته: (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) وها أنا ألخص هنا فوائده"[1].

٢- ابن كمال باشا ٩٤٠هـ:

يعد ابن كمال باشا - مثلما عُد السيوطي من قبل - واحدا من كبار المؤلفين الموسوعيين في تاريخ الفكر العربي الإسلامي وفق تقسيم بروكلمان في موسوعته تاريخ الأدب العربي (ق ٩ / ١٣ب-١٤ ص٤٢٦).

وهو شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا، تدرج في مناصب الدولة العثمانية حتى صار شيخ الإسلام في إستانبول، وتوفي سنة ٩٤٠هـ = ١٥٣٣م.

(وانظر في ترجمته: بروكلمان ق ٩/١٣ب - ١٤ص٤٢٦ وما بعدها ومقدمة تحقيق رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية ١١-٢٥) .

ومن مؤلفاته في المعرب ما يلي:

١- رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، ويسميها بروكلمان رسالة التعريب وهي تتناول تدوين الألفاظ الدخيلة.

وقد نشرها الدكتور أحمد الحسيسي والدكتور عبد الكريم الزبيدي، بالقاهرة سنة ١٩٨٥م.

---

[1] انظر: كشف الظنون ١٩١٤ ودليل مخطوطات السيوطي ص٤٤/٥٦ وبروكلمان ق٦ / ١١-١٢ ص٦١١.

٢- رسالة في تحقيق لفظ الزنديق، وتوضيح معناه الدقيق، أو رسالة في تعريب لفظ الزنديق، وهي جزء من الكتاب السابق استغرقت الصفحات من ٥٧ إلى ٦١ .

مؤلفات المعرب في القرن العاشر الهجري
(المنهج والمصادر)

يمكن القول أن مؤلفات المعرب في القرن العاشر الهجري، كانت امتداداً لمناهج التأليف المعجمي التي عرفها العرب من قبل.

وقد توزعت هذه المؤلفات التي مر ذكرها على اتجاهات ثلاثة هي كما يلي:

أ - المدرسة الموضوعية (ويمثلها كتاب المتوكلي للسيوطي) .
ب - المدرسة الهجائية (ويمثلها كتاب المهذب للسيوطي) .
جـ- المدرسة الصَّرْفية (ويمثلها كتاب ابن كمال باشا) .

(أ) مدرسة الترتيب الموضوعي :
(المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات للجلال السيوطي).

ونقصد بها طريقة جمع الكلمات وفق موضوعات مشتركة في حيز واحد، بمعنى أن يكون الموضوع هو الجامع لعدد من المفردات في الترتيب.

ففي مجالنا هنا يصح أن يوصف صنيع السيوطي في معجمه المتوكلي بأنه جاء وفق الترتيب الموضوعي، لأنه جمع ألفاظ كل لغة ورتبها في حيز واحد وفق اللغة الأم التي انحدرت منها إلى المعجم العربي، بحيث صنع بابا للألفاظ العبرانية، وآخر للألفاظ الحبشية وغيره للألفاظ اليونانية وهكذا إلى أن جاء على كل الألفاظ المعربة التي

استخدمها القرآن الكريم مرتبة كل مجموعة منها وفق موضوع واحد هو لغتها الأصل التي نقلت منها.

وقد أشار السيوطي بما يوحي بذلك الترتيب وإن لم يصرح به في مقدمة كتابه حيث يقرر أن كتابه هذا مؤلَّف "في الألفاظ التي وقعت في القرآن الكريم وذكر الصحابة والتابعون أنها بلغة الحبشة، أو الفرس، أو غيرهم مما سوى العرب"[1].

وتسمية هذا المنهج الذي صار عليه السيوطي في معجمه المتوكلي بالموضوعي أمر منطقي بالنظر إلى طريقة تبويب الكلمات مجموعة تحت كل لغة أصلية انحدرت منها إلى العربية.

والذي يشغل مستخدم هذا المعجم أو طالبه ليس معرفة أعيان الألفاظ الأعجمية بل يبدو أنه يعرفها بأعيانها، لكنه يريد أن يراها مجموعة تحت أصلها الذي وردت منه.

وهذا المراد من المستخدِم user هو ما يحققه المعجم الموضوعي الذي ظهر في التاريخ العربي منذ زمان طويل يعود إلى القرن الثاني الهجري ذلك أن المعاجم التي من هذا النوع تهدف إلى جمع الألفاظ المتحدة في الموضوع[2]، والموضوع المتحد هنا، هو اللغة الأعجمية المعينة التي أورد تحتها السيوطي الكلمات المنتمية إليها مما ورد في القرآن الكريم وقد احتوى هذا الكتاب / المعجم أحد عشر بابا للغات التي مُثلت بمفردات أعجمية عرّبت واستخدمها القرآن الكريم كما يلي:

---

[1] المتوكلي ص٣٠.

[2] انظر في ماهية المعجم الموضوعي .thematic dic ومعناه كتاب: معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث ص١٥ وما بعدها والمعجمية العربية بين النظرية والتطبيق ص٤٩.

١- ذكر ما ورد في القرآن بلغة الحبشة، وفيه:

شطر (تلقاء)، والجبت (الشيطان)، والطاغوت (الكاهن)، وحوب (إثم)، وأوّاه (المؤمن)، وابلعي (ازدردي)، ومتكأ (الترنج أو الأترج، نوع فاكهة)، وطوبى (الجنة)، وسكَر (الخَل)، وطه (يا محمد)، وحرام (واجب)، والسجل (الرجل)، والمشكاة (الكوّة)، وأوّبي (سبحي)، والعرم (المسناة: أي التي يجتمع فيها الماء)، والمنسأة (العصا)، ويس (ياإنسان)، وأوّاب (مُسبّح)، وكفل (ضعف)، ناشئة (قيام)، منفطر (ممتلئ)، قسورة (أسد)، ويمور(يرجع)، وسنين (الحَسَن)، وارائك (سُرر)، ويصدون (يضجون)، ودُري (المُضيء)، وغيض (نقص).

٢- ذكر ما ورد في القرآن بالفارسية، وفيه:

الإستبرق (الديباج الغليظ)، وسجيل (الطين المتحجر)، وكوّرَت (غورت)، ومقاليد (مفاتيح)، وأباريق (طريق الماء)، وبيع (الكنائس)، والتنور (ما يخبز فيه)، وجهنم، ودينار، والرس (بئر، معدن...)، والروم، وزنجبيل، وسجين (حساب)، وسرادق، وسقر، وسلسبيل، وسندس، وقرطاس، وأقفال، وكافور، وكنز، والمجوس، والياقوت، والمرجان، ومسك، ووردة، وهود، واليهود.

٣- ذكر ما ورد في القرآن بالرومية =(اللاتينية واليونانية في اصطلاح المعاصرين[١]) يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه: دفاع عن القرآن ضد منتقديه "وعلينا أن نشير هنا أن

---

[١] انظر: المتوكلي ص٩٣ حاشية ١ ودفاع عن القرآن ضد منتقديه ص١٤٧.

كلمة (رومية) تدل على اليونانية واللاتينية على حد سواء"[1]. وفي هذا الفصل ذكر لما يلي:

صرهن (قطعتهن)، فردوس (بستان)، وقسط (عدل)، وقسطاس (عدل)، وطفق (قصد)، ورقيم (لوح)، وصراط (طريق)، وقنطار (١٢٠٠٠ أوقية)، وعدن (استقرار).

٤- ذكر ما ورد في القرآن بالهندية، وفيه:

ابلعي (اشربي) ، وطوبى (جنة) ، وسندس (رقيق الديباج).

٥- ذكر ما ورد في القرآن بالسريانية، وفيه:

سرى(نهر)، وطه (يا رجل)، وعدن (كروم)، وفردوس (جنات أعناب)، والطور (الجبل)، وهونا (حكماء)، وهيت لك (اقترب)، ولات (ليس)، والربانيون والربيون (عالم بالشريعة)، ورهو (ساكن)، سجد (مقنعو الرءوس)، وقيوم (من لا ينام)، والأسفار (الكتب)، والقمّل، واليم (البحر)، والشهر، وصلوات (كنائس)، وآزر (مخطئ)، والقنطار (ملء وعاء ذهب).

٦- ذكر ما ورد في القرآن بالعبرانية، وفيه:

كفّر (محا)، وهونا (حلماء)، وأخلد (ركن)، وهدنا (تبنا)، والمرقوم (المكتوب)، والرمز (تحريك الشفتين)، الفوم (الحنطة)، الأواه (كثير الدعاء)، وطُوى (رجل)، واليم (البحر)،

[1] دفاع عن القرآن ضد منتقديه ص١٤٧.

والرحمن، والأليم (الموجع)، وبعير (حمار)، ودارست (قرأت)، وحطة (استغفار)، والأسباط (القبائل)، وراعنا (من الحمق)، ولينة (نخلة)، وقاسية (صلبة)، وقسيسون (رؤساء النصارى).

٧- ذكر ما ورد في القرآن بالنبطية (لهجة آرمية)، وفيه:

سيناء (الحُسن)، وأسفار (كتب)، والحواريون (الغسّالون)، والأكواب (جرار من غير عُرى)، وتتبير (تدمير)، والسَّرِى (النهر)، والسَّفَرة (القرّاء)، وصرهن (شققهن)، وطه (يا رجل)، والطور (الجبل)، والفردوس (الكرم)، والملكوت (الملك)، وهيت (هلّم)، والإل (اسم الله تعالى)، ورهو (دمث)، وعبدٌ (قتل)، ووراء (أمام)، والوزر (الجبل)، قطنا (كتابنا)، وإصر (العهد)، وكفّر (امُح)، والمقاليد (المفاتيح)، وكفلين (نصيبان)، واليم (البحر).

٨- ذكر ما ورد في القرآن بالقبطية، وفيه:

متكأ (أترج)، ومناص (فرار)، ومزجاة (قليلة)، وتحت (بطن)، وبطائن (ظواهر)، والأولى (الآخرة)، والآخرة (الأولى).

٩- ذكر ما ورد في القرآن بالتركية، وفيه:

غسّاق (البارد المنتن).

١٠- ذكر ما ورد في القرآن بالزنجية (الحامية)، وفيه:

حصب (حطب)، والأليم (الموجع)، والمنسأة (العصا).

١١- ذكر ما ورد في القرآن بالبربرية، وفيه:

المُهل (عكر الزيت)، وإناه (نضجه)، وآن (الذي انتهى حرّه)، وآنية (حارة)، ويصهر (ينضج)، وأبّ (الحشيش)، والقنطار (ألف مثقال من ذهب).

ولم نجد منهجا محددا يستقيم عليه ذلك الترتيب الذي فعله السيوطي في معجمه هذا، فهو لم يرتب اللغات ترتيبا هجائيا ولا أبجديا بدليل أن آخر فصل عقده كان للألفاظ البربرية وقبله ما سبق أن رأيت من أسماء اللغات العشر.

كما لم يستقم هذا الترتيب على المنهج الكمي، بمعنى أنني افترضت أن السيوطي رتب اللغات حسب أكثرها إسهاما بالألفاظ المعربة التي وردت في الذكر الحكيم؛ وسوف يتضح من جدول كثافة المفردات وتوزيعها على لغاتها المنتمية إليها ما نقرره هنا من عدم استقامة المنهج الكمي معيار القياس ما يمكن أن يكون قد فعله السيوطي في ترتيبه اللغات في هذا المعجم الموضوعي.

ونحن نرجح أن يكون السيوطي قد رتب معجمه موضوعيا - فيما يبدو بعد طول فحص وتأمل - على ما يمكن أن يسمى بالمنهج الجغرافي المستقى من قول الله سبحانه ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ [سورة قريش ١٠٦ / ١-٢] وهو منهج يحلو فيه للمؤلفينْ المسلمين أن يتبركوا فيبدءوا بما بدأ الله سبحانه وتعالى به!

وقد كانت رحلة الشتاء إلى الجنوب ورحلة الصيف إلى الشمال.

جاء عند الماوردي في النكت والعيون " أن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن (الجنوب) لأنها بلاد حامية، ورحلة الصيف كانت إلى الشام، لأنها بلاد باردة"[1].

وفي هذا التأويل قدر كبير من الإفراط أو الشطط من جانبنا، لكنه مع إقرار القول بالإفراط أولى في النظر من القول بأن السيوطي لم يتبع منهجا في ترتيب الموضوعات أو اللغات وهو ما يسميه الدكتور علي القاسمي: بالمنهج العشوائي؛ في الصناعة المعجمية، أو بالترتيب العشوائي[2].

ومن هنا يمكن أن نقول إن السيوطي رتب معجمه المتوكلي وفق الموضوعات أو اللغات، ثم رتب هذه الموضوعات أو اللغات من الجنوب إلى الشمال.

وفي داخل كل فصل أو تحت كل موضوع أو لغة أورد الألفاظ المعربة من دون ترتيب، وقد افترض البحث أن يكون السيوطي قد رتب الألفاظ ترتيبا هجائيا جذريا أو وفق منطوق الكلمة النهائي؛ ففي الباب الأول في ذكر ما ورد في القرآن بالحبشية: شطر ثم الجبت ثم الطاغوت وأنت ترى أنه ترتيب لا يستقيم مع المنهج الهجائي.

ولم يرتب السيوطي الألفاظ وفق الترتيب المصحفي، أي بترتيب ورود الكلمات في داخل كل لغة وفق ورودها في سور المصحف الشريف باستثناء الفصل الأول، فإن كانت كلمات الباب الأول في ذكر ما ورد في القرآن بالحبشية يمكن حملها على أنها رتبت وفق ورودها

---

[1] تفسير الماوردي أو النكت والعيون ٤/٥٤٩.

[2] المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق ص٤٨.

في المصحف الشريف على ترتيب السور فإنه لم يحـافظ علــى ذلـك الترتيب فيما تلا الفصل الأول.

ففي الباب الأول جاءت الكلمات التاليـة (يرجـى ملاحظـة تسلسل أرقام السور) :

﴿ شطر ﴾ في سورة البقرة ١٤٤/١.

﴿ الجبت والطاغوت ﴾ في سورة النساء ٥١/٤ .

وبعد الجبت جاءت كلمة ﴿ حوبا ﴾ في سورة النساء ٣/٤ .

﴿ لأواه ﴾ في سورة التوبة ١١٤/٩ .

﴿ ابلعي ﴾ في سورة هود ٤٤/١١ .

﴿ متكأ ﴾ في سورة يوسف ٣١/١٢.

﴿ طوبى ﴾ في سورة الرعد ٢٩/١٣.

﴿ سكرا ﴾ في سورة النحل ٦٧/١٦.

﴿ طـه ﴾ في سورة طه ١/٢٠.

﴿ حـرِمْ ﴾ في سورة الأنبياء ٩٥/٢١.

﴿ السجل ﴾ في سورة الأنبياء ١٠٤/٢١.

﴿ كمشكاة ﴾ في سورة النور ٣٥/٢٤.

﴿ أوبـي ﴾ في سورة سبأ ١٠/٣٤.

﴿ العـرم ﴾ في سورة سبأ ١٦/٣٤.

﴿ منسأته ﴾ في سورة سبأ ١٤/٣٤.

﴿ يـس ﴾ في سورة يس ١/٣٦.

﴿ أواب ﴾ في سورة ص ١٧/٣٨.

﴿ كفليـن ﴾ في سورة الحديد ٢٨/٥٧.

﴿ ناشئـة ﴾ في سورة المزمل ٦/٧٣.

﴿ منفطر ﴾ في سورة المزمل ١٨/٧٣.
﴿ قسورة ﴾ في سورة المدثر ٥١/٧٤.
﴿ يحــور ﴾ في سورة الإنشقاق ٤١/٨٤.
﴿ سنيــن ﴾ في سورة ٢/٩٥.

وقد خرج عن هذا المنهج في هذا البـاب حيث جاء بالكلمـات التالية:

﴿ الأرائك ﴾ وهي فـي سـورة الكهـف ٣١/١٨، ويـس ٥٦/٣٦، والإنسان ١٣/٧٦، والمطففين ٢٣/٨٣؛٣٥.

﴿ يصدون ﴾ وهي في سورة الزخرف ٥٧/٤٣.

﴿ الــدري ﴾ وهي في سورة النور ٣٥/٢٤.

﴿ غيــض ﴾ وهي في سورة هود ٤٤/١١.

ويبدو أن هذا القسم من الكلمات مما لم يثبت عنـده أنـه مـن الأعجمي المعرب ولذلك أفرده في آخر الباب من دون ترتيب!

وقد قدمنا أن السيوطي لم يحافظ على هذا الترتيب المصحفي في بقية فصول الكتاب ففي الفصل الثاني الذي خصصه للكلمات المعربة من الفارسية وردت الكلمات التالية:

﴿ الإستبرق ﴾ في سورة الكهف ٣١/١٨.
ثم ﴿ سجيل ﴾ في سورة هود ٨٢/١١!
ثم ﴿ كورت ﴾ في سورة سورة التكوير ١/٨١.
ثم ﴿ أباريق ﴾ في سورة الواقعة ١٨/٥٦!

ويصح أن يكون هذا المعجم مثلا جيدا وصالحا على ما يسمى بالترتيب العشوائي، حيث وردت الألفاظ - على الأقل فيما بعد الموضوع الأول - كيفما اتفق من غير منهج حاكم، وفي هذا يقول الدكتور علي القاسمي إن المقصود بهذا الترتيب اللانظامي هو: "وضع المداخل دون اتباع أي نظام، ودون انتهاج أي نمط واضح معروف الأصول - ولا يتحكم بإدراج مدخل بعد آخر إلا مجرد المصادفة"[1].

وهذا كلام صحيح فيما يتعلق بترتيب الألفاظ داخليا؛ لأن السيوطي أورد الكلمات المنتمية إلى لغة ما مجموعة تحت هذا العنوان لهذه اللغة أو تلك من غير مراعاة لأي ترتيب.

وقد توزعت فصول المعجم على إحدى عشرة لغة هي مجمل موضوعات الكتاب، ولكن اختلفت كثافة الألفاظ تحت كل موضوع أو لغة، والجدول التالي يوضح هذه الكثافة بالعدد والنسبة المئوية:

اللغة	كثافة الألفاظ المعربة المنتمية للغة الأصل	النسبة المئوية	ملاحظات
١- الحبشية	٢٨	٢٢,٤٪	
٢- الفارسية	٢٧	٢١,٦٪	
٣- الرومية	٩	٧,٢٪	
٤- الهندية	٣	٢,٤٪	
٥- السريانية	٢٠	١٦,٠٪	
٦- العبرية	٢٠	١٦,٠٪	
٧- النبطية	٢٤	١٩,٢٪	

[1] المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق ص٤٨.

٨- القبطية ٩- التركية ١٠- الزنجية ١١- البربرية	٧ ١ ٣ ٧	٥,٦٪ ٠,٨٪ ٢,٤٪ ٥,٦٪	
مجموع الألفاظ المعربة في القرآن	• ١٢٥ كلمة من غير المكرر • ١٤٩ بما في ذلك العدد المكرر • العدد المتنازع في نسبته بين اللغات ٢٤ كلمة بنسبة ١٩,٢٪		

وهذا الجدول يبرز الحقائق التالية:

١- اتساع دائرة تمثيل اللغات التي اقترض منها العرب قبل نزول الوحي الكريم، واستعمال القرآن لها جميعا دليل على الانسجام المعرفي الذي يقضي في نصوصه المحكمة بحرية الآخر في العقيدة[1] بنص آيات كثيرة منها : قوله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٦]، وقوله عز وجل ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ [سورة الكافرون ١٠٣/٦]، وقد وردت ألفاظ من لغات الشعوب ذات الدين السماوي من مثل الحبشية والسريانية والعبرية، كما وردت ألفاظ من لغات الشعوب الوثنية من مثل الفارسية و غيرها.

[1] انظر: الدر المنثور ١٥٩/٣ وما بعدها وتفسير الماوردي ٥٥٧/٤.

٢- وينفي هذا الجدول بهذا الترتيب الاحتمال الذي سبق لهذا البحث افتراضه ونفيه ـ وهو أن يكون السيوطي قد رتب اللغات وفق المنهج الكمي، أي أنه قدم اللغة التي أسهمت بألفاظ أعجمية معربة أكثر من التي تليها.

أما عن مصادره التي استقى منها هذه الألفاظ فهي كثيرة، يتركز غالبها في صف مؤلفات التفسير؛ لأنها ألفاظ في القرآن الكريم منها:

تفسير ابن جرير الطبري (انظر مثلا: ٣٣)، والمصنف لابن أبى شيبة (٣٤)، وتفسير ابن المنذر (٣٥)، وتفسير ابن النقيب (٣٦)، وتفسير ابن أبى حاتم (٣٧)، وسؤلات نافع بن الأزرق لابن عباس برواية الطستي (٣٩)، والمستدرك للحاكم (٤٧)، وفنون الأفنان لابن الجوزي (٦٣؛ ١٢٩؛ ١٤٦؛ ١٥٦)، والبرهان في مشكلات القرآن لشيذلة (٦٤)، والإرشاد للواسطي (٦٤)، ولغات القرآن لأبي القاسم [اللالكائي] (٦٥؛ ١٤٣)، والمعرب للجواليقي (٧٤؛ ١١٩؛ ١٥٤)، والزينة لأبي حاتم اللغوي (١٠٠؛ ١١٥)، وفقه اللغة للثعالبي (١٠١)، والمحتسب لابن جني (١٢٠؛ ١٤٢)، والعجائب والغرائب للكرماني (١٢٨؛ ١٥٠)، وبعض ما روي عن المبرد وثعلب وابن خالويه (١٢٩؛ ١٣١).

ويتضح من هذه القائمة مدى العناية بنقل آراء المفسرين المنتمين لمدرسة التفسير بالرواية أو المأثور؛ وهو التزام من جانب السيوطي لحسم مادة الخلاف التي دارت حول إقرار المعرب في القرآن الكريم من عدمه، فكان لجوؤه إلى النقل والرواية عن الصحابة والتابعين

لأنهم أعلم بكتاب الله من غيرهم؛ أو لأن "هؤلاء أعلم بالتأويل" ممن جاء بعدهم[1].

وقد استخدم السيوطي في هذا المعجم طرقا متعددة في شرح الألفاظ المعربة منها طريقة التعريف في مثل قوله في تعريف القنطار ١٢٢ "وإن القنطار بالسريانية ملء جلد ثور ذهبا أو فضة".

ومنها طريقة الشرح بذكر المرادف في مثل قوله في تعريف القسطاس ٩٧ "القسطاس العدل بالرومية".

كما سكت عن كثير من الألفاظ فلم يشرحها اكتفاء بوضوحها وهو ما نسميه بالشرح السكوتي[2] كما فعل في الألفاظ المعربة التالية:٧٥-٩١ بيع وكنائس والتنور وجهنم ودينار والرس والروم وزنجبيل الخ.

(ب) مدرسة الترتيب الهجائي الألفبائي
(المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب)

ويقصد بالترتيب " الهجائي لمداخل المعجم في اصطلاحنا إذن هو ذلك الترتيب الذي تدرج فيه مداخل لمعجم وفقا لتسلسل حروف

---

[1] المعرب للجواليقي ٥ وانظر: المزهر في علوم اللغة ٢٦٨/١ والمتوكلي ٣٣ والإتقان في علوم القرآن ١١٢/٢ والمهذب ٥٨ وفصول في فقه العربية ٣٦٠.

[2] انظر في بيان مفهوم هذه الطريقة وغيرها من طرق شرح المعنى المعجمي ما يلي: المعاجم العربية في ضوء علم اللغة الحديث ١٠٢ وصناعة المعجم الحديث ١٢٠ وتراث المعاجم الفقهية في العربية ٢٢٩ والمعاجم الأصولية في العربية ٢١٣.

الهجاء وعندما نتحدث عن الترتيب الهجائي في الوقت الحاضر فإننا نشير إلى الترتيب الألفبائي وحده "[1].

وقد ألف السيوطي معجمه الثاني في المعرب القرآني ورتب مفرداته خارجيا وفق هذا الترتيب الهجائي الألفبائي مبتدأ بالألفاظ التي أولها الهمزة ومنتهيا بالألفاظ المبدوءة بالياء وفق شكل الكلمة النهائي المنطوق والواردة في الذكر الحكيم.

وهذا المعجم المرتب ترتيبا هجائيا ألفبائيا هو المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، يقول السيوطي عنه "هذا الكتاب تتبعت فيه الألفاظ المعربة التي وقعت في القرآن مستوعبا ما وقفت عليه من ذلك مقرونا بالعزو والبيان"[2].

وقد أورد السيوطي في مقدمة معجمه آراء المتشددين في القول بوجود المعرب في القرآن الكريم من مثل الشافعي وأبي عبيدة وابن فارس، ثم أردفهم بذكر آراء القائلين بوجوده في الذكر الحكيم من مثل أبي عبيد القاسم بن سلام والثعالبي والجويني ورجح رأيهم واختاره حيث قال عن ذلك: "وأقوى ما رأيته وهو اختياري"[3].

ثم ذكر أنه سيسير في ترتيب هذه الألفاظ التي قال بأعجميتها وتعريبها وفق الترتيب الهجائي الألفبائي حيث قال ٦٥ "وهذا سرد الألفاظ الواردة في القرآن مرتبة على حروف المعجم".

---

[1] المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق ٥٩ وانظر: معجم المصطلحات اللغوية للبعلبكي ٤٠ و Dictionary of lexicography 5.

[2] المهذب ٥٧.

[3] المهذب ٦٠.

وواضح أنه لم يلجأ إلى التجريد أو الرد إلى الجذور، وإنما أتى بالكلمات كما وردت في القرآن الكريم على هيأتها المذكورة فيه.

وقد رتبها داخليا مراعيا الثواني والثوالث وهكذا، فهو مثلا في باب الهمزة بدأ بأباريق ثم أبّ ثم ابلعي فجاء بالهمزة والباء ثم الألف، وبعدها بالألف والباء ثم الباء وهكذا.

وفي باب الباء أورد بطائنها أولا ثم بعير بعدها ثم بيع على ما ترى من ترتيب راعى فيه ترتيب حروف الهجاء داخليا.

وقد بلغت الكلمات المعربة في المهذب العدد نفسه الذي في المتوكلي وهو مئة وخمس وعشرون كلمة.

ومصادره هنا هي مصادره في المتوكلي.

والظاهر لقارئ المهذب أن عدد اللغات الأجنبية التي أسهمت في إمداد العربية ببعض كلماتها المعربة يفوق عدد اللغات في المتوكلي، فهي على حين بلغت في المتوكلي إحدى عشرة لغة، وصلت إلى اثنتين وعشرين لغة غير أن فحص هذا العدد الزائد سيرتد إلى العدد نفسه المستخدم في المتوكلي، ذلك أن السيوطي استخدم في تسمية اللغات أسماء مترادفة كثيرة هي السبب الحقيقي في زيادة عددها في المهذب، فهو مثلاً يعبر عن السريانية باسمين هما السريانية والآرامية، ويسمى الرومية ثم يعود فيذكر ما يندرج تحتها من الإغريقية أو اليونانية واللاتينية، ويسمى الزنجية ثم يعود فيسميها لسان أهل إفريقية، ويسمى العبرية ثم يعود فيسميها باليهودية وهكذا.

وقد استخدم السيوطي في هذا المعجم الطرق نفسها التي استخدمها في المتوكلي في شرحه لمعاني الألفاظ الأعجمية، مركزا على

منهج الرواية عن أصحاب التفاسير ليؤيد اختياره الذي مال إليه من القول بوجود المعرب في القرآن الكريم.

(ع) مدرسة الترتيب الصرفي (أو النوعي)

(رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية)

ويقصد به ترتيب الكلمات وفق "انتماءاتها الصرفية"[1] وهو ما يسميه الدكتور علي القاسمي بالترتيب النحوي.

وقد ألف ابن كمال باشا رسالته التي عنوانها (رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية) على وفق هذا الترتيب حيث نظر إلى أقسام الكلمة الأعجمية بعد تعريبها فاستقر النظر على أنها أربعة أقسام (ص٤٤) هي:

أحدها : ما لم تتغير ولم تكن ملحقة بأبنية كلامهم.

وثانيها : ما لم تتغير ولكن كانت بأبنية كلامهم.

وثالثها : ما تغيرت ولكن لم تكن ملحقة بها.

ورابعها: ما تغيرت وكانت ملحقة بها.

وهذا كما نرى ترتيب نوعي راعى فيه الأقسام الصرفية التي تندرج تحتها الكلمات الأعجمية بعد تعريبها وقد سار على ذلك في أثناء الكتاب، ويؤكد ذلك قوله (ص٥٠).

"وأما القسم الأول منه ..." ثم قال (ص٨٠) "وأما القسم الذي غيروه ولكن لم يلحقوه بأبنية كلامهم ..." ثم قال (ص٨٤) "وأما القسم الذي استعملوه على حاله ولم يتصرفوا فيه أصلاً ...".

---

[1] المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق ٥٣.

هذا عن الترتيب الخارجي أما في داخل كل قسم فقد وردت الألفاظ ورتبت داخليا من غير منهج هكذا بشكل عشوائي غير خاضع لنظام ما.

أما عن مصادره فقد توسع ابن كمال باشا في ذكر المعاجم ولاسيما التي عرف عنها بعض العناية بالمعرب من مثل:

شرح الألفية لابن أم قاسم المرادي (٤٦)، والصحاح للجوهري (٤٧)، وضرام السقط شرح ديوان المعري لصدر الأفاضل الخوارزمي (٤٩)، ودرة الغواص للحريري (٥٠)، والكتاب لسيبويه (٥٢)، والفائق للزمخشري (٥٣)، وشرح ديوان المتنبي للواحدي (٥٤)، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (٥٥)، والمغرب للمطرزي (٥٨)، ومفاتيح العلوم= التفسير الكبير للفخر الرازي (٥٨)، والقاموس المحيط للفيروزابادي (٦١)، والمعارف لابن قتيبة (٦٩)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٧٠)، وشرح المفتاح للتفتازاني والشريف الجرجاني (٧٠)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٧٢)، وتهذيب اللغة للأزهري (٧٩)، وتفسير الكشاف للزمخشري (٨٠).

وقد برزت شخصية ابن كمال باشا في تحقيق عدد من الألفاظ الأعجمية التي عربت وخالف فيها عددا من أئمة اللغة ومن هذه المواطن التي ظهرت فيها شخصيته النقدية ما جاء في سياق حديثه عن تعريب ساباط لموضع بالمدائن حيث قال ٧٥ "ومن غريب التعريب، تعريب ساباط فإنه معرب (بلاش آباد) وعلى ما صرح به صاحب القاموس [ينظر ٢/٣٦٠]، حيث قال: ساباط اسم موضع بالمدائن ... وعندي أن ساباط معرب شاه آباد وحينئذ تزول الغرابة، وشاه آباد مركب من كلمتين إحداهما شاه ومعناه العظيم ....، وآباد ومعناه المعمور".

ومثل ذلك كثير في ٧٥ عند حديثه عن تعريب كنيسة، وفي ٦٤ عند حديثه عن تعريب الطست حيث قال "وهو لفظ فارسي وهـم فيـه الإمام المطرزي".

وقد اعتنى ابن كمال باشا بتحليل المعربات وبيـان أصـولها، وكيفية تركيب هذه الأصول.

وقد استخدم ابن كمال باشا طرقا كثيرة في شرح معـاني هـذه الألفاظ التي ذكرها ومثل على صحة معانيها التي أوردها لهـا بطـرق كثيرة كانت في الغالب تدور حول طريقـة التعريـف وطريقـة ذكـر المرادف وطريقة ضرب الأمثلة.

ومراجعة قوائم الألفاظ المعربة القرآنية عند السيوطي وقـوائم الكلمات عند ابن كمال باشا تبرز أن العـرب **اقترضـوا مـن الأمـم المجاورة** لهم ممن ارتبطت بهم في علاقات ــ ألفاظا تتعلـق بالـشأن الحضاري من ملابس وأطعمة وعطور وأسماء مدن إلى غير ذلك.

وهذا هو المألوف عند القول باقتراض لغة من لغة، لأن المعاني القلبية أو الوجدانية ملك أو شركة بين لغات الأمم جميعا اللهم إلا إذا كان معنى قلبيا خاصا بأمة من دون غيرها، كما حدث في نقل العرب لكلمة الزنديق من الفارسية؛ لأنها تصف ما كانوا عليه من اعتقاد فاسـد فـي الثنوية، يقول ابن كمال باشا ٥٧ "ومن المعربات: الزنديق، صرح بـه الجوهري حيث قال في الصحاح [زندق ٤/١٤٨٩] الزنديق من الثنوية وهو معرب ... أي مبطنا للكفر".

فنقله العرب ليطلقوه على من يتعامل بغير أخـلاق المـسلمين وآدابهم أو معتقداتهم ممن يظهرون الإسلام ويبطنون غيره!

ومراجعة قائمة ابن كمال باشا تؤكد ذلك الذي قلنا من أمر النقل لما يخص الموضوعات الحضارية وهي:

الدرهم والشطرنج والمهندس والباذق والبريد والطست والسرادق والسياسة والأجُرّ .... الخ.

مما يؤكد المقولة التي قام عليها هذا البحث وهي أن العرب المسلمين لم ينفوا الآخر، وقد فحص هذه الدعوى وقام على تأكيدها ما لاحظنا من العناية بالمعرب في القرن العاشر الهجري في اللغة عموما كما ظهر عند ابن كمال باشا وفي النص القرآني الكريم خصوصا كما ظهر عند السيوطي .

فهرس مراجع البحث

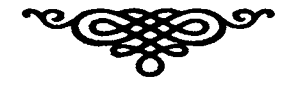
- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، سنة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.
- تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة الدكتور عمر صابر عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٥م.
- تراث المعاجم الفقهية في العربية، دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية، للدكتور خالد فهمي، إيتراك، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون للماوردي، تحقيق خضر محمد خضر، دار الصفوة بالقاهرة ووزارة الأوقاف الكويتية، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، وآخرين، دار هجر، القاهرة، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- دفاع عن القرآن ضد منتقديه، للدكتور عبد الرحمن بدوي، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

- دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها، لأحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، سنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، لابن كمال باشا، تحقيق الدكتور أحمد الحسيسي، والدكتور عبد الكريم الزبيدي، القاهرة، سنة ١٩٨٥م.
- صحاح اللغة وتاج العربية، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- صلة الموشحات والأزجال بشعر التروبادور، للدكتور عبد الهادي زاهر، مكتبة الشباب، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.
- صناعة المعجم الحديث، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، لأبي الوليد بن رشد، تحقيق الدكتور محمد عمارة، دار المعارف، سنة ١٩٨٣م.
- فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.
- قاموس علم الاجتماع، للدكتور محمد عاطف غيث، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٨٨م.

- القاموس المحيط، للفيروزابادي، مصورة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، سنة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م عن طبعة المطبعة الأميرية، القاهرة، سنة ١٣٠١هـ.
- قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور، لإيكه هولتكرانس، ترجمة الدكتور محمد الجوهري، والدكتور حسن الشامي، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، إستانبول، سنة ١٩٤٥م مصورة دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.
- مؤرخو مصر الإسلامية، لمحمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.
- المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد الكريم الزبيدي، جامعة سبها، طرابلس، ليبيا، سنة ١٩٨٦م.
- المزهر في علوم اللغة، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار التراث، القاهرة، سنة ١٩٥٨م.
- مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، لمحمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م.
- المعاجم الأصولية في العربية دراسة لغوية في النشأة والصناعة والمعجمية،للدكتور خالد فهمي، إيتراك، القاهرة، سنة ٢٠٠٥م.
- المعاجم عبر الثقافات دراسات في المعجمية، لهارتمان، ترجمة الدكتور محمد محمد حلمي هليل، مؤسسة التقدم العلمي، الكويت، سنة ٢٠٠٤م.

- المعاجم العربية في ضوء علم اللغة الحديث، للدكتور محمد أحمد أبي الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٣٨٥هـ=١٩٦٦م.
- معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، للدكتور محمود سليمان ياقوت، مكتبة المعرفة الجامعية، الأسكندرية، سنة ٢٠٠٢م.
- معجم المصطلحات اللغوية، للدكتور رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، للدكتور علي القاسمي، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ٢٠٠٣م.
- المعرب من الكلام الأعجمي، للجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة ١٩٦١م.
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، للسيوطي، تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي، المغرب والإمارات، بدون تاريخ.

- **Dictionary of lexicography, by R. R .Hartmann and Gregory James, London and New York, 1998.**




منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET